الجزائر والنمسا في مواجهة مصيرية لحسم بطاقة التأهل

ص11

أوروبا تحت لهيب الصيف

ص10

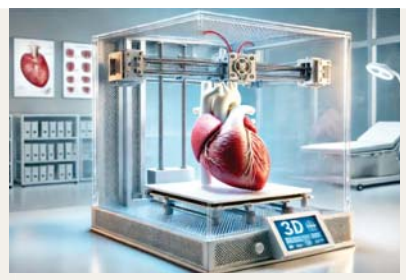

نهاية الفطرة
هل نحن بصدد هندسة «الإنسان»؟

ص3

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
أسسها: أحمد الصالحين الهوني
السبت - الأحد 27 - 2026/06/28
12 - 13 المحرم 1448 السنة 49 العدد 13846
Saturday - Sunday 27 - 28/06/2026
49th Year, Issue 13846
www.alarab.co.uk

الحرب انتهت... ومراجعة النفوذ الأميركي في الشرق الأوسط بدأت

المواجهة كشفت أن التفوق العسكري لا يكفي لفرض التغييرات السياسية

واشنطن - لم ينته أثر الحرب الأميركية على إيران عند إعلان وقف إطلاق النار، بل بدأ معه نقاش إستراتيجي أوسع داخل الولايات المتحدة حول مستقبل دورها في الشرق الأوسط. فالمواجهة، التي انتهت بتسوية أعادت الطرفين إلى مسار التفاوض، لم تُحسم وفق الأهداف التي طُرحت عند بدايتها، الأمر الذي أعاد إلى الواجهة أسئلة قديمة بشأن حدود القوة الأميركية، وجدوى الانخراط العسكري المكلف في منطقة تتغير موازينها بسرعة، في وقت تتجه فيه أولويات واشنطن بصورة متزايدة نحو منافسة القوى الكبرى.

وبينما تروج إدارة الرئيس دونالد ترامب للاتفاق باعتباره خطوة ضرورية لإنهاء الصراع وفتح مسار دبلوماسي جديد، يرى عدد متزايد من الباحثين والمحللين أن الحرب نفسها كشفت حدود القدرة الأميركية على فرض أهدافها الإستراتيجية، وأعادت إحياء الدعوات إلى مراجعة شاملة للدور الأميركي في المنطقة.

ويستند هذا التقييم إلى أن الحرب لم تحقق الأهداف الإستراتيجية التي أعلنتها واشنطن عند اندلاعها، وفي مقدمتها تقليص النفوذ الإيراني وإعادة تشكيل ميزان القوى الإقليمي بما يخدم مصالحها ومصالح حلفائها.

وعلى الرغم من التفوق العسكري الأميركي، انتهت المواجهة باتفاق يمنح الأولوية لوقف القتال واستئناف المفاوضات، بدلاً من فرض شروط سياسية أو إستراتيجية على طهران، وهو ما اعتبره منتقدون اعترافا ضمنيا بأن كلفة مواصلة الحرب تجاوزت المكاسب المتوقعة.

> على الرغم من التفوق العسكري الأميركي، انتهت المواجهة باتفاق يمنح الأولوية لوقف القتال واستئناف المفاوضات

وفي هذا السياق يرى أصحاب هذا الطرح أن الاتفاق لا يمثل هزيمة بحد ذاته، وإنما يعكس حقيقة أن الولايات المتحدة اقتنعت بأن الاستمرار في الصراع لن يحقق أهدافها القصوى، وأن إنهاء الحرب أصبح الخيار الأقل كلفة سياسيا واقتصاديا وعسكريا. ومن ثم، فإن الاتفاق يُقرأ باعتباره بداية مرحلة جديدة تقوم على إدارة الأزمة بدلاً من محاولة حسمها بالقوة العسكرية.

وتتجاوز المراجعة المرتقبة حدود الملف الإيراني لتشمل مجمل السياسة الأميركية في الشرق الأوسط. فمنذ عقود استثمرت واشنطن موارد عسكرية ومالية هائلة في المنطقة، انطلاقا من اعتقاد بأن أمنها القومي يرتبط ارتباطا مباشرا بما يجري فيها. إلا أن الحرب الأخيرة أعادت طرح سؤال قديم يتجدد مع كل أزمة: هل ما زالت المصالح الأميركية تستوجب هذا الحجم من الانخراط العسكري؟

ويشير أصحاب هذا الاتجاه إلى أن الولايات المتحدة دفعت ثمنا باهظا في حرب لم تمس، في نظرهم، المصالح الحيوية المباشرة للبلاد. فإلى جانب الكلفة المالية الضخمة، التي قدرت بعض الدراسات أنها قد تصل إلى نحو 200 مليار دولار، ألقت الحرب بظلالها على أسواق الطاقة العالمية، ورفعت أسعار النفط، وأثرت في معدلات التضخم داخل الولايات المتحدة، فضلاً عن الخسائر البشرية والتداعيات السياسية التي رافقت الصراع.

الكلفة تغيّر الحسابات

كما يرى أصحاب هذه القراءة أن الحرب لم تفض إلى تقليص النفوذ الإقليمي الإيراني بالشكل الذي كانت تطمح إليه واشنطن، بل منحت طهران فرصة لتعزيز أوراقها التفاوضية، مستفيدة من موقعها الجغرافي وقدرتها على التأثير في أحد أهم الممرات البحرية لتجارة الطاقة العالمية.

وفي المقابل وجدت الولايات المتحدة نفسها مضطرة إلى العودة إلى طاولة التفاوض من دون أن تتمكن من فرض شروط المنتصر، الأمر الذي عزز الدعوات إلى تبني سياسة أكثر واقعية وأقل اعتمادا على القوة العسكرية.

ومن بين أبرز الدروس التي يطرحها هذا النقاش أن سياسة الهيمنة العسكرية التي انتهجتها واشنطن منذ نهاية الحرب الباردة لم تعد تحقق النتائج نفسها في عالم يشهد تغيرات متسارعة. فصعود قوى دولية جديدة، وفي مقدمتها الصين، وتزايد قدرات القوى الإقليمية، جعلا من الصعب على الولايات المتحدة فرض إرادتها منفردة، حتى مع احتفاظها بأكبر قوة عسكرية في العالم.

وفي هذا الإطار يرى محللون أن الحرب مع إيران قد تكون محطة مفصلية في إعادة صياغة أولويات السياسة الخارجية الأميركية. فبدلاً من الانخراط في نزاعات مفتوحة في الشرق الأوسط، قد تتجه واشنطن إلى تركيز مواردها على منافسة القوى الكبرى، وفي مقدمتها الصين، التي عززت حضورها الاقتصادي والسياسي خلال فترة الحرب، وقدمت نفسها شريكا أكثر استقرارا في النظام الدولي.

ويمتد النقاش إلى مستقبل الوجود العسكري الأميركي في الشرق الأوسط، إذ يرى عدد من الباحثين أن القواعد المنتشرة في المنطقة لم تعد تحقق مستوى الردع الذي أُنشئت من أجله، بل تحولت في الكثير من الأحيان إلى أهداف للهجمات، وإلى مصدر لاستنزاف الموارد والقدرات الأميركية.

ومن هذا المنطلق تتزايد الدعوات إلى إعادة توزيع القوات، وتقليص الالتزامات العسكرية المباشرة، مع الاعتماد بصورة أكبر على الشراكات الإقليمية لإدارة التحديات الأمنية.

«تحالف المحيط الهادئ» يمد جسوره إلى الإمارات

أبوظبي - بدأ تكتل "الاتفاق الشامل والتقدمي للشراكة عبر المحيط الهادئ" مرحلة جديدة من التوسع الاقتصادي والاستراتيجي عبر إطلاق مشاورات تمهيدية رسمية لضم دولة الإمارات العربية المتحدة، إلى جانب جمهورية الفلبين، وجمهورية إندونيسيا.

ويعكس هذا التحرك الرغبة المتنامية لدى القوى الاقتصادية الصاعدة والدول المتقدمة على حد سواء في إعادة تشكيل خارطة التجارة العالمية وتوسيع نطاق التكتلات الاقتصادية العابرة للقارات.

وتأتي هذه الخطوة بناءً على بيان مشترك صادر عن الدول الاثنتي عشرة الأعضاء في التكتل، وهي أستراليا وبروناي دار السلام وكندا وتشيلي واليابان وماليزيا والمكسيك ونيوزيلندا وبيرو وسنغافورة وفيتنام بالإضافة إلى المملكة المتحدة التي انضمت حديثاً إلى التكتل.

ويسعى هذا التحالف التجاري الضخم من خلال فتح باب المفاوضات مع هذه الدول الثلاث إلى تعزيز التكامل الاقتصادي والتبادل التجاري والاستثماري بين الدول المطلة على المحيط الهادئ وخارجها، مستهدفاً إزالة القيود الجمركية وتسهيل حركة تدفق رؤوس الأموال والخدمات.

وتمثل الخطوة الحالية تحولا جوهريا في طبيعة التكتل الذي بدأ في عام 2005 باتفاق شراكة اقتصادية استراتيجية مصغرة بين أربع دول هي بروناي وتشيلي ونيوزيلندا وسنغافورة، قبل أن يتوسع تدريجيا ليشمل قوى اقتصادية كبرى وتنبثق عنه نسخته الحالية المعدلة عام 2016.

وشهد المسار التاريخي للاتفاقية محطات بارزة كان أهمها انسحاب الولايات المتحدة عام 2017 بقرار من الرئيس دونالد ترامب، وهو الأمر الذي دفع الدول المتبقية إلى إعادة صياغة التحالف والمضي قدما فيه تحت المسمى الجديد للاتفاق الشامل والتقدمي، مظهرة التزاما راسخاً بنظام تجاري متعدد الأطراف وقائم على القواعد.

وتجسد الرغبة في ضم دولة الإمارات العربية المتحدة سعي التكتل إلى مد جسوره الاقتصادية إلى منطقة الشرق الأوسط، مستفيداً من الموقع الجغرافي الاستراتيجي للإمارات كمركز مالي ولوجستي عالمي يربط بين الشرق والغرب.

وتنظر الدول الأعضاء إلى الإمارات كشريك موثوق يمتلك بنية تحتية متطورة وموانئ عالمية وبيئة تشريعية جاذبة للاستثمار، مما يسهم في خلق ممرات تجارية جديدة وحيوية تربط أسواق آسيا والمحيط الهادئ بمنطقة الشرق الأوسط وأفريقيا وأوروبا. وتتلاقى هذه الرغبة مع التوجهات الاستراتيجية للإمارات الساعية لتوسيع شبكة شراكاتها الاقتصادية الشاملة حول العالم وتنويع مصادر دخلها بعيدا عن النفط.

وعلى الجانب الآخر، تمنح مشاركة الفلبين وإندونيسيا عمقا ديموغرافيا واقتصاديا هائلا للتكتل في منطقة جنوب شرق آسيا، حيث تمثل الدولتان قوتين بشريتين واقتصاديتين صاعدتين بأسواق استهلاكية ضخمة ومعدلات نمو متسارعة.

وتتيح المشاورات مع إندونيسيا، كأكبر اقتصاد في جنوب شرق آسيا وعضو في مجموعة العشرين، فرصة استثنائية للتكتل لتعزيز نفوذه في سلاسل التوريد العالمية، خاصة في مجالات التصنيع والموارد الطبيعية والاقتصاد الرقمي. وبالمثل، تقدم الفلبين قوة عاملة شابة وماهرة وقطاع خدمات متناميا، مما يعزز من مرونة التكتل وقدرته على مواجهة التحديات الاقتصادية العالمية المستجدة.

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني
رئيس التحرير

هل يستطيع لبنان أن يخرج من معادلة المحاور؟

البيان المشترك الصادر عن واشنطن وعواصم خليجية كبرى ويضع ملف سلاح حزب الله على رأس شروط الاستقرار، يقرأه اللبنانيون كما يقرأ المريض نتائج فحوصاته: بمزيج من الخوف والأمل واليقين بأن ما يأتي لاحقا سيكون مؤلما أيا كان.

لبنان معتاد على أن يكون موضوع بيانات دولية. ما يختلف هذه المرة هو أن البيان يأتي في ظرف بالغ الهشاشة، بعد حرب أنهكت الجنوب وأثقلت الاقتصاد المنهك أصلا، وفي خضمّ مرحلة انتقالية سياسية لا تزال تبحث عن توازناتها.

السؤال الذي يطرحه البيان ليس جديدا في مضمونه، لكنه جديد في سياقه: هل يستطيع لبنان، الدولة التي تحكمها توازنات طائفية هشّة وتسكنها فصيلة مسلحة تملك من القوة العسكرية ما يفوق الجيش الرسمي، أن يخرج من معادلة المحاور ويعيد تعريف سيادته في مواجهة ضغط دولي متصاعد وإقليمي متشابك؟

لا توجد في العالم الديمقراطي حالة تشبه حالة لبنان في علاقته بحزب الله. حزب يُشارك في الانتخابات البرلمانية ويجلس في الحكومة ويتحدث بلغة السياسة المدنية، ويمتلك في الوقت ذاته منظومة عسكرية مستقلة تماما عن قيادة الجيش اللبناني، وتتخذ قراراتها الحربية في طهران وضاحية بيروت لا في السرايا الحكومية. هذه الازدواجية ليست مجرد إشكالية قانونية أو دستورية، بل هي التشخيص الأدق لأزمة الدولة اللبنانية في جوهرها.

حين تندلع حرب في الجنوب، كما جرى في صيف 2024، لا يُقرّر مجلس الوزراء اللبناني خوضها أو إيقافها. القرار يُتخذ في مكان آخر، وفق حسابات تتجاوز الحدود اللبنانية ومصلحة المواطن اللبناني. الدولة تجد نفسها في موقف مُحرج: مسؤولة أمام المجتمع الدولي عما يجري على أرضها، لكنها لا تملك آليات السيطرة الكاملة على ما يجري فعلا.

هذا الواقع انعكس مباشرة على الإصلاحات الاقتصادية المطلوبة منذ انهيار 2019. صندوق النقد الدولي يشترط إصلاحات هيكلية، لكن الإصلاحات الجدية تحتاج إلى دولة تملك قرارا موحدا وسيادة على أراضيها وقوانينها. حين يكون جزء من منظومة الحكم خارج دائرة القانون الوطني، تصبح الإصلاحات بناءً فوق أرض غير مستوية.

التوازنات الداخلية بين القوى السياسية اللبنانية تجعل أي معالجة جريئة لهذا الملف بالغة التعقيد. الطائفية السياسية التي يقوم عليها النظام اللبناني لا تُتيح لأي زعيم أن يواجه حزب الله باعتباره خصما دون أن يُتّهم بخدمة مشروع طائفي أو خارجي. حزب الله استثمر هذه المعطيات ببراعة: جعل أي نقد لسلاحه يبدو كأنه هجوم على طائفة أو على "المقاومة" بوصفها قيمة جمعية لا موقفا سياسيا قابلا للنقاش.

لقراءة البيان الأميركي – الخليجي قراءة صحيحة، لا بد من الخروج من الإطار اللبناني والنظر إلى الخريطة الأوسع. ملف حزب الله اللبناني لا يُناقَش في واشنطن والرياض وأبوظبي بوصفه قضية لبنانية داخلية، بل بوصفه ورقة في الإستراتيجية الأشمل للحدّ من النفوذ الإيراني في المشرق العربي.

منذ الاتفاق النووي الأول عام 2015 ومرورا بانهياره وصولا إلى المفاوضات الراهنة، ظل سلاح الميليشيات الحليفة لإيران في العراق واليمن ولبنان وسوريا قضية مُعلّقة لم تُعالجها أي من الاتفاقيات النووية. المنطق الإيراني المعلن هو أن هذه الأذرع ليست موضوع تفاوض مع الغرب لأنها شأن سيادي للدول المضيفة. المنطق الغربي والخليجي المضاد هو أن هذه الأذرع هي بالضبط ما يجعل الاتفاق النووي، أيا كان، منقوصا.

لبنان في هذه المعادلة ليس طرفا متساويا يُفاوَض بل ساحة اختبار. النجاح في إعادة ترتيب معادلة السلاح في لبنان سيرسل رسالة إلى بغداد وصنعاء. الفشل سيرسل رسالة مقابلة. ومأساة لبنان التاريخية أنه دائما يدفع ثمن الرسائل التي يرسلها ويتلقاها الآخرون.

> حزب الله جعل أي نقد لسلاحه كأنه هجوم على «المقاومة» بوصفها قيمة جمعية لا موقفا سياسيا قابلا للنقاش

الموقف السعودي تحوّل في السنوات الأخيرة. المملكة التي انسحبت من لبنان عمليا بعد تجارب مريرة عادت بانخراط حذر يقوم على دعم مؤسسات الدولة اللبنانية الرسمية، وفي مقدمتها الجيش اللبناني، كرهان على أن تقوية الدولة هي المسار الوحيد لتضييق مساحة الفصائل المسلحة. البيان الأميركي – الخليجي يُعبّر عن هذه الإستراتيجية بصوت أعلى وبشروط أكثر وضوحا.

إيران لا ترى ما يراه منتقدوها في سلاح حزب الله. ترى معادلة ردع استراتيجية موجودة في المنطقة منذ عقود: وجود حزب الله العسكري على الحدود الإسرائيلية يُشكّل، في الحسابات الإيرانية، ضمانا بأن أي عمل عسكري إسرائيلي ضد إيران لن يكون بلا ثمن. هذه المعادلة تجعل سلاح الحزب ورقة جيوسياسية إيرانية في المقام الأول، وملفا لبنانيا في المرتبة الثانية.

من هذه الزاوية، أي مطالبة بنزع سلاح الحزب أو دمجه في منظومة الدولة اللبنانية تُفهم في طهران بوصفها مطالبة بنزع واحدة من أثمن أوراقها الإستراتيجية.

لكن هذا المنطق يتجاهل ثمنا حقيقيا يدفعه لبنان: كل حرب خاضها حزب الله انطلاقا من لبنان دمّرت بنية تحتية وأنهكت اقتصادا وشرّدت مواطنين لبنانيين لم يشاركوا في صنع قرار الحرب.

البيان الأميركي – الخليجي الأخير يطرح السؤال الجوهري لكنه لا يُقدّم الإجابة. السؤال: هل يستطيع لبنان أن يخرج من معادلة المحاور؟ الإجابة الصادقة هي: يستطيع، لكن ليس بقرار دولي وحده.

ليبيا 1 دينار - السعودية 2 ريال - مصر 3 جنيه مصري - موريتانيا 120 أوقية - تونس 900 مليم - المغرب 3 دراهم - الجزائر 7 دينارات - البحرين 200 فلس - اليمن 50 ريالا - الكويت 150 فلسا - الإمارات 2 درهم - عمان 200 بيزا - قطر 2 ريال - العراق 2000 دينار - الأردن 500 فلس - سوريا 150 ليرة - السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
السبت 2026/06/27
السنة 49 العدد 13846

عقدة الجدول الزمني تفخخ محادثات إسرائيل ولبنان في واشنطن

الأمين العام لحزب الله: على إسرائيل الانسحاب من الجنوب دون قيد أو شرط

لم يعد مستقبل الهدنة في جنوب لبنان مرتبطا فقط بوقف إطلاق النار، بل بات مرهونا بقدرة المفاوضات الجارية في واشنطن على معالجة جوهر الصراع، وفي مقدمته الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي اللبنانية التي احتلتها خلال الحرب الأخيرة. وبينما تتمسك بيروت بجدول زمني واضح وملزم لإنهاء الاحتلال، ترفض تل أبيب تقديم أي تعهدات بهذا الشأن.

حال لبنان بين خطاب عاشوراء ومفاوضات واشنطن

واشنطن - تواجه المفاوضات بين بيروت وتل أبيب في واشنطن مزيدا من التعقيدات، مع رفض إسرائيل بشكل قاطع الالتزام بأي جدول زمني محدد للانسحاب من الأراضي التي احتلتها مؤخرا في جنوب لبنان.

وأدى إصرار الوفد اللبناني على إدراج بند ينص على انسحاب إسرائيلي كامل ومنظم وفق جدول زمني واضح وملزم، مقابل الرفض الإسرائيلي، إلى تمديد جولة المفاوضات يوما إضافيا وسط أجواء طغى عليها التوتر والتشاؤم، ولا سيما مع تمسك تل أبيب بالبقاء العسكري في مواقع إستراتيجية، أبرزها قلعة الشقيف التاريخية ومناطق ما يعرف بـ"الخط الأصفر".

وكان من المقرر أن تنتهي جولة التفاوض الخميس، إلا أن الجانب الأميركي أعلن تمديدها إلى الجمعة. وتزامن هذا التعثر الدبلوماسي مع صدور تحذيرات شديدة اللهجة من حزب الله، الذي توعد بأن أي محاولة لإبقاء القوات الإسرائيلية داخل الأراضي اللبنانية ستكون شرارة لجولة جديدة من المواجهات، فيما عاد الجيش الإسرائيلي، الجمعة، إلى إلقاء مناشير تدعو سكان عدد من القرى اللبنانية إلى الإخلاء.

وفي كلمة بثتها قناة "المنار"، قال الأمين العام لحزب الله نعيم قاسم إن "لا خيار أمام إسرائيل إلا الانسحاب الكامل من كل شبر من أرضنا اللبنانية... وعلى إسرائيل أن ترحل من دون قيد أو شرط".

وجاءت تصريحات قاسم خلال مراسم إحياء ذكرى عاشوراء في الضاحية الجنوبية لبيروت، حيث شارك عشرات الآلاف من أنصار الحزب في مسيرة حاشدة رفعوا خلالها رايات الحزب والأعلام الإيرانية، في أكبر تجمع جماهيري للحزب منذ اندلاع الحرب الأخيرة مع إسرائيل.

وكان حزب الله قد أدخل لبنان في الحرب بعد إطلاقه صواريخ على إسرائيل، ردا على مقتل المرشد الإيراني علي خامنئي خلال الضربات الأميركية والإسرائيلية الأولى على إيران، لترد إسرائيل بحملة غارات واسعة أعقبها توغل بري أسفر عن احتلال عشرات البلدات والقرى في جنوب لبنان.

وتحت ضغط أميركي، بدأت بيروت وتل أبيب مفاوضات مباشرة في واشنطن، هي الأولى منذ عقود، بهدف إنهاء الحرب ورسم ملامح مرحلة ما بعدها. ورغم الإعلان عن وقف لإطلاق النار في 17 أبريل، فإن الاتفاق لم ينجح في إنهاء حالة الحرب بصورة نهائية.

> إسرائيل تحاول استغلال التفوق الجوي والدمار الهائل لفرض حزام أمني مرن يتيح لها التدخل وقتما تشاء

كما أسهم الاتفاق الأميركي – الإيراني الذي أنهى الحرب الإقليمية في تثبيت وقف إطلاق النار على الجبهة اللبنانية منذ الأحد، بعد إصرار طهران على إدراج هذه الجبهة ضمن التفاهم، إلا أن هذا الهدوء لا يزال هشا وقابلا للانهيار في ظل استمرار الخلافات بشأن الانسحاب الإسرائيلي.

وشدد قاسم على أن "أي التزام ينتقص من سيادة لبنان لن يمر، ولا يحق لأحد أن يوقع أو يقبل بما يمس السيادة"، في إشارة إلى المفاوضات الجارية في واشنطن.

وأضاف: "لا تطبيع، ولا إلغاء لحالة العداء، ولا أي مكتسبات لإسرائيل، ولا أي وجود، ولو جزئيا، على الأراضي اللبنانية. على إسرائيل أن تخرج ذليلة وخاسرة، وهذا ما سيحصل".

في المقابل، أكد الرئيس اللبناني جوزيف عون أن العمل مستمر وبشكل مكثف لتثبيت وقف إطلاق النار، لكنه ربط نجاح هذا المسار بانسحاب القوات الإسرائيلية بالكامل من جميع الأراضي اللبنانية المحتلة من دون استثناء.

ويصر الوفد اللبناني على أن انتشار الجيش اللبناني في الجنوب، وعودة النازحين إلى قراهم، وإطلاق الأسرى، والشروع في إعادة الإعمار، تمثل ملفات مترابطة لا يمكن فصلها عن الانسحاب الإسرائيلي الكامل خلف الحدود الدولية المعترف بها.

كما تضع بيروت شروطا واضحة بشأن ما يسمى بـ"المناطق النموذجية"، إذ تشترط أن تقع جميعها داخل "الخط الأصفر"، الممتد لنحو ثمانية كيلومترات داخل الأراضي اللبنانية، بما يسمح بانتشار الجيش اللبناني فيها، مع رفض أي تعديل للخرائط أو استثناء للمناطق التي تصر إسرائيل على الاحتفاظ بها.

ويرى مراقبون أن تشدد إسرائيل في رفض الالتزام بجدول زمني للانسحاب يعود إلى اعتبارات سياسية داخلية، إذ تخشى الحكومة الإسرائيلية أن يفسر أي انسحاب سريع على أنه تراجع أمام حزب الله، خاصة بعد الكلفة البشرية والعسكرية والسياسية التي تكبدتها خلال الحرب الممتدة بين عامي 2023 و2024، ثم المواجهة التي اندلعت في مارس 2026.

وتشير المعطيات الميدانية إلى أن إسرائيل تسعى إلى استثمار تفوقها العسكري وحجم الدمار الذي أحدثته في الجنوب لفرض واقع أمني جديد، يقوم على إنشاء حزام أمني مرن يمنحها حرية التدخل العسكري متى رأت أن مصالحها الأمنية تستدعي ذلك، وهو ما يفسر تمسكها بمواقع مرتفعة وحاكمة مثل قلعة الشقيف، التي توفر لها إشرافا ناريا وبصريا على مساحات واسعة من جنوب لبنان.

وتعتبر الأوساط العسكرية الإسرائيلية أن التخلي عن هذه المواقع قبل الحصول على ضمانات أمنية كاملة، وقبل تفكيك البنية العسكرية لحزب الله في تلك المناطق، سيعيد التهديد إلى مستوطنات شمال إسرائيل، ويؤخر عودة سكانها الذين نزحوا منذ أشهر.

وتكشف الأزمة الحالية أن الخلاف لم يعد مقتصرا على تفاصيل تنفيذ وقف إطلاق النار، بل أصبح يدور حول شكل الترتيبات الأمنية التي ستحدد ميزان القوى في جنوب لبنان خلال المرحلة المقبلة. وبينما تسعى بيروت إلى تثبيت مبدأ استعادة السيادة الكاملة عبر انسحاب إسرائيلي شامل ومحدد زمنيا، تحاول تل أبيب تحويل مكاسبها العسكرية إلى واقع أمني دائم يمنحها حرية الحركة داخل الساحة اللبنانية.

وفدا طرابلس وبنغازي في واشنطن لبحث الخطة الأميركية للحل بليبيا

الحبيب الأسود

تشهد ليبيا هذه الأيام حراكا واسعا لتفعيل الخطة الأميركية التي ستكون محور اجتماعات في واشنطن من بينها لقاء الإثنين القادم بين وفدي حكومة الوحدة الوطنية والقيادة العامة للقوات المسلحة مع وزير الخارجية الأميركي ماركو روبيو.

وبحسب تقارير ليبية وإيطالية، فقد تم إعداد روزنامة الفعاليات المنتظرة في سياق الخطة الأميركية ومنها انعقاد السلطة التنفيذية الموحدة والمجلس الاستشاري بمدينة سرت في 30 أكتوبر 2026، والتصويت على الثقة بالحكومة، وتأكيد التعيينات السيادية والعليا في 24 ديسمبر 2026، على أن يتم في 30 يوليو 2028 انتخاب برلمان انتقالي بموجب القانون رقم 10 لسنة 2014، الذي يُنشئ لجنة صياغة دستورية.

وبحسب الروزنامة، فإن العام 2030 سيشهد إجراء استفتاء على إطار دستوري حديث قائم على نظام حزبي ديمقراطي تعددي، يُؤسس دولة مدنية قائمة على حقوق الإنسان، واقتصاد السوق الحر، ونظام إداري لامركزي واسع النطاق، بينما تُجرى انتخابات برلمانية ورئاسية على أساس نظام سياسي تعددي عام 2032.

وأبرزت صحيفة "إل فوليو" الإيطالية أن وزير الخارجية الأميركي ماركو روبيو سيجتمع مع ممثلين عن غرب وشرق ليبيا في 29 يونيو الجاري لمناقشة اتفاق بشأن إعادة توحيد البلاد. فيما يتابع مسعد بولس، مستشار الرئيس الأميركي دونالد ترامب للشؤون العربية والأفريقية، اتصالاته بين طرابلس وبنغازي والقاهرة لضمان التحقيق بين طرفي النزاع على السلطة في البلاد.

كما ينتظر أن تكون للفريق عبدالسلام الزوبي وكيل وزارة الدفاع بحكومة الوحدة الوطنية والفريق أول صدام حفتر نائب القائد العام للقوات المسلحة في شرق البلاد جملة محادثات في واشنطن لمناقشة إعادة توحيد القوات المسلحة تمهيدا لمحادثات مع مسؤولين أميركيين حول إعادة توحيد المؤسسات العسكرية والأمنية الليبية، على أن تتولى القيادة الأميركية في أفريقيا (أفريكوم) تنسيق اجتماع مشترك بين وفدي طرابلس وبنغازي لبحث عملية توحيد الهياكل العسكرية والأمنية.

ورجحت مصادر مطلعة أن يتشكل وفد القيادة العامة للقوات المسلحة من عبدالرحمن العبار والشيباني أبوهمود وآدم بوصخرة وزايد هدية، فيما يتكون وفد حكومة الوحدة من وليد اللافي ومصطفى المانع وعلي عبدالعزيز وعبدالجليل الشاوش.

وبحث الزوبي، في العاصمة الأميركية واشنطن، مع كبير مستشاري الرئيس الأميركي للشؤون العربية والشرق الأوسط، مسعد بولس، ونائب قائد القيادة الأميركية في أفريقيا الفريق جون دبليو برينان، آليات دعم جهود توحيد المؤسسة العسكرية الليبية وتعزيز التعاون العسكري والأمني بين البلدين.

وقالت منصة "حكومتنا" إن اللقاء، الذي عقد بمقر وزارة الخارجية الأميركية في مستهل الزيارة الرسمية للزوبي إلى واشنطن، تناول سبل تعزيز الشراكة الإستراتيجية بين ليبيا والولايات المتحدة في المجالات العسكرية والأمنية، إلى جانب بحث برامج التدريب وبناء القدرات، وتعزيز التنسيق في مكافحة الإرهاب وتأمين الحدود ومواجهة التهديدات العابرة للحدود، حيث أكد الجانبان أهمية مواصلة التنسيق والتشاور بين المؤسسات العسكرية والأمنية في البلدين، بما يدعم بناء مؤسسات عسكرية وأمنية مهنية وموحدة، ويعزز قدرة الدولة الليبية على حماية سيادتها وترسيخ الأمن والاستقرار.

> إجراء استفتاء على إطار دستوري قائم على نظام ديمقراطي، يُؤسس دولة مدنية قائمة على حقوق الإنسان واقتصاد السوق

وتشهد العواصم الإقليمية على نطاق واسع مناقشة الخطة الأميركية لحل الأزمة الليبية، لاسيما بعد الجولة المكوكية التي قادت صدام حفتر إلى باريس وأثينا وإسلام أباد، وزيارة رئيس المخابرات العامة المصرية اللواء حسن رشاد، ورئيس الاستخبارات التركية، إبراهيم قالين، إلى بنغازي وطرابلس للاجتماع بكبار المسؤولين في شرق وغرب البلاد، ولتنسيق المواقف الإقليمية والدولية الفاعلة في الملف الليبي.

ويرى مراقبون أن النشاط الدبلوماسي الواسع يهدف إلى توحيد الجهود من أجل تجاوز العراقيل التي تحاول بعض الأطراف وضعها أمام الخطة الأميركية، من بينها رئيس المجلس الرئاسي محمد المنفي الرافض لمبدأ التخلي عن منصبه لفائدة الفريق صدام حفتر، وزعيم تيار الإفتاء في غرب البلاد الصادق الغرياني المعروف بعدائه الشديد للماريشال حفتر وأبنائه وقواته وتمسكه بالخط الراديكالي الهادف إلى تكريس الدولة الدينية الشمولية.

وفي الأثناء يواصل مسعد بولس العمل على تقريب المسافات بين الفرقاء الليبيين لإنجاح مبادرته التي تجد دعما كبيرا من الرئيس دونالد ترامب ومن عدد من العواصم الأوروبية.

تشدّد إيران يعيد قضية هرمز إلى مربّع التأزيم

فتح المضيق الإستراتيجي حجر الزاوية في اتفاق واشنطن مع طهران

طهران - تُظهر إيران تشدّدا كبيرا بشأن استئناف الحركة العادية للملاحة في مضيق هرمز بعيدا عن رقابتها؛ لأن التحكّم في المضيق مثلّ ورقتها الأكثر قيمة وفاعلية في صراعها العسكري ضدّ الولايات المتحدة وفي مفاوضاتها معها لإنهاء الصراع.

السيطرة على المضيق ورقة طهران الأكثر قيمة

وينطوي ذلك التشدّد على محذور نسف ما تحقق إلى حدّ الآن من توافقات أولية بشأن التهدئة والتفاوض على إنهاء الحرب؛ لأن فتح المضيق الذي يمثّل شريانا دوليا رئيسيا لنقل مواد الطاقة نحو الأسواق العالمية كان بحدّ ذاته دافعا رئيسيا لإدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى التحلي بالمرونة إزاء الجمهورية الإسلامية بهدف التخلّص من التبعات الاقتصادية للحرب التي بدأت تثقل كاهل تلك الإدارة وتنتقص من الحظوظ الانتخابية للحزب الجمهوري الممسك بمقاليدها.

وبالنسبة إلى ترامب وإدارته، لا فائدة في اتفاق لا يعيد فتح هرمز بالكامل ولا يضمن انسيابية تصدير نفط وغاز الخليج نحو الأسواق العالمية، وضرر التمادي فيه سيكون أكثر فداحة من خيار مواصلة خوض الحرب.

وأكدت إيران مجدّدا الجمعة ما سمّته "حقها" في السيطرة على الملاحة البحرية في المضيق، وحذرت دول الخليج من الانحياز إلى جانب الولايات المتحدة وذلك بعد يوم واحد من وقوع هجوم على سفينة بالقرب من سلطنة عُمان، الأمر الذي سلط الضوء على هشاشة الاتفاق المبدئي لإنهاء الحرب.

وجاء رد طهران على ما وصفته بأنه "البيان المشترك غير المسؤول والاستفزازي والذي يمثل تدخلا"، الذي أصدرته الولايات المتحدة وست دول خليجية، والذي رفض إصرار إيران على "حقها" في فرض رسوم على السفن العابرة للمضيق.

وقال كاظم غريب آبادي نائب وزير الخارجية الإيراني على منصة إكس "لا يمكن ضمان المرور الآمن عبر مضيق هرمز في ظل ترتيبات غامضة أو مسارات بديلة أو قرارات لا تأخذ في الاعتبار دور إيران كدولة مطلة على المضيق".

وجاء ذلك بينما واصلت أسعار النفط تراجعها الجمعة، على الرغم من التفسيرات المتضاربة للاتفاق المؤقت الذي تم التوصل إليه الأسبوع الماضي بين إيران والولايات المتحدة وتباطؤ حركة المرور عبر المضيق، الذي كان يمر عبره عادة خُمس إمدادات النفط والغاز الطبيعي المسال العالمية.

وأظهرت بيانات شحن أن شركة أرامكو النفطية السعودية استأنفت الجمعة تحميل النفط الخام في ميناء رأس تنورة التابع لها في الخليج، وهو أكبر ميناء نفطي في العالم، بعد توقف دام قرابة أربعة أشهر.

وقال وزير الخارجية الأميركي ماركو روبيو، في ختام جولة له في الخليج لطمأنة الحلفاء الإقليميين القلقين بشأن الاتفاق المؤقت، الخميس للصحافيين إنه إذا هددت إيران السفن في المضيق أو عرقلت مرورها "فستكون لدينا مشكلة".

> بالنسبة إلى إدارة ترامب، لا فائدة في اتفاق مع إيران لا يعيد فتح هرمز ولا يضمن تصدير النفط والغاز إلى الأسواق العالمية

وفي البيان المشترك شدد روبيو ووزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي على "حرية الملاحة غير المشروطة وغير المقيّدة" في مضيق هرمز ورفض "أي رسوم أو ضرائب أو محاولات لفرض السيطرة على المضيق"، وقالوا إن "تحقيق السلام والأمن الدائمين في المنطقة يتطلب التصدي لجميع أشكال التهديدات الإيرانية، بما في ذلك صواريخها الباليستية وطائراتها المُسيرة ودعمها للوكلاء في المنطقة".

وردت وزارة الخارجية الإيرانية الجمعة بالقول إن الوجود العسكري الأميركي في الخليج يمثل مصدرا لانعدام الأمن والانقسامات في المنطقة. وشددت على ضرورة أن يكون مضيق هرمز تحت إدارتها هي وسلطنة عُمان وفقا لبنود الاتفاق المؤقت.

وقالت الوزارة "نحذر من استمرار السياسات العدائية والتدخل في شؤون المنطقة".

وسيطرت إيران فعليا على المضيق بعد الحرب التي شنتها الولايات المتحدة وإسرائيل عليها آخر فبراير الماضي، ما أدى إلى تعطيل تدفقات النفط وأشاع الاضطرابات في أسواق الطاقة العالمية والاقتصاد بشكل عام.

العرب
السبت 2026/06/27
السنة 49 العدد 13846

نهاية الفطرة: هل نحن بصدد هندسة «الإنسان»؟

كيف تعيد «الطباعة الحيوية» رسم موازين القوى العالمية، وتضع كرامة الإنسان في مواجهة أخطر تحول في التاريخ؟

لم يعد السؤال المطروح اليوم هو إلى أي مدى تستطيع التكنولوجيا أن تطور حياة الإنسان، بل إلى أي مدى يمكن أن تعيد تعريف الإنسان نفسه. فمع القفزات المتسارعة في مجال الطباعة الحيوية، لم تعد المختبرات تكتفي بابتكار وسائل جديدة للعلاج، وإنما أصبحت تقترب من إعادة إنتاج أجزاء من الجسد البشري وبنائها خلية فوق أخرى.

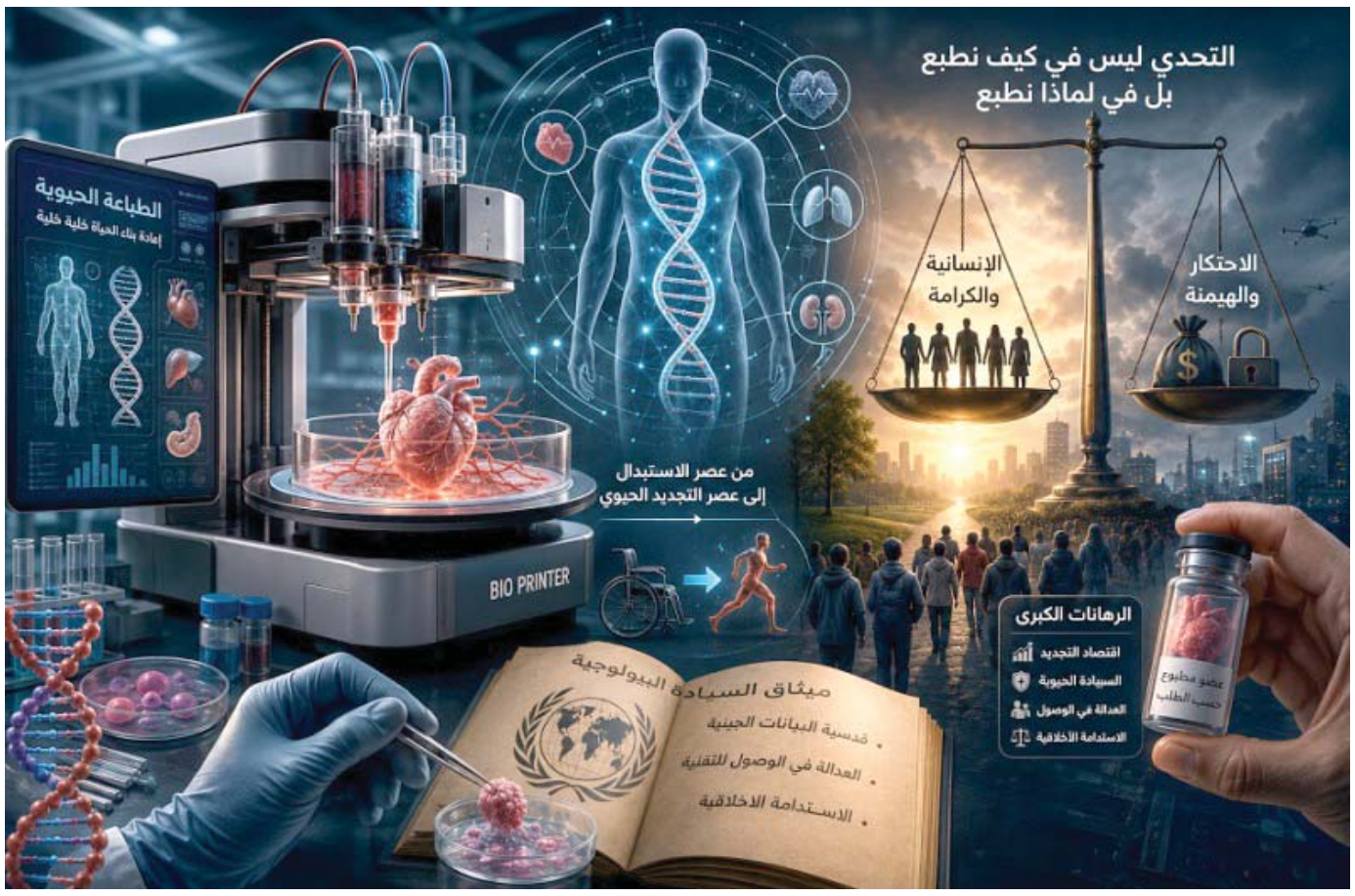

تقنية تتجاوز مفهوم التصنيع التقليدي

د. حسن مصدق
أستاذ في جامعة فانسين باريس 8

في لحظة مفصلية من مسار التطور البشري، لم تعد التكنولوجيا مجرد أداة خارجية نستخدمها، بل أضحت "قوة خلق" تتسلل إلى أعماق المختبرات لتعديل منطق الحياة ذاته. إن تكنولوجيا الطباعة ثلاثية الأبعاد، التي بدأت بتشكيل المواد الجامدة كالبلاستيك والمعدن، اخترقت اليوم الحصن الأخير للطبيعة: المادة الحيوية. وبالتالي بتنا نقف الآن أمام "الطباعة الحيوية"، وهي تقنية تتجاوز مفهوم التصنيع التقليدي لتصبح إعادة صياغة للمنطق الأحيائي؛ إنها القدرة على رصف الخلايا الحية، طبقة تلو الأخرى، في بنية هندسية دقيقة لتوليد أنسجة وأعضاء وظيفية متكاملة.

هذا التحول ينقل الحضارة البشرية من عصر "الاستبدال"، حيث ننتظر متبرعا أو نستخدم أطرافا صناعية معدنية لا تحاكي كفاءة العضو الأصلي، إلى عصر "التجديد" الأحيائي، وخلق أجزاء من ذواتنا في المختبر بمواصفات تطابق جيناتنا تماماً. إن هذا الانتقال يمثل أضخم ثورة في تاريخ الطب منذ اكتشاف المضادات الحيوية، لكنه في الوقت ذاته يطرح تساؤلات وجودية وأمنية وجيوسياسية تمس جوهر ما يعنيه أن نكون بشراً، وما يعنيه "الجسد" في عالم باتت فيه البيولوجيا قابلة للرقمنة والطّباعة.

المشهد التقني والعلمي.. كيف نكتب «شفرة» الحياة؟

تعتمد الطباعة الحيوية على تكامل فائق بين الهندسة الحيوية، علوم الجينوم، والمعلوماتية. لفهم عمق هذه العملية، يجب تفكيك تقنياتها الأساسية:

● **الميكانيكا الحيوية للطباعة:** تتعدد تقنيات الطباعة بين "البثق" الأكثر شيوعاً، و"الليزر" الأكثر دقة، و"النفث الحبري" للتوزيع المتجانس. ورغم اختلاف الآليات، يبقى التحدي المشترك هو الحفاظ على "حيوية" الخلية؛ إذ تمثل فوهة الطباعة بيئة فيزيائية قاسية قد تؤدي إلى تحلل المادة الحيوية قبل تشكلها الوظيفي. وأي خلل في سرعة التدفق أو الحرارة قد يؤدي إلى تحلل المادة الحيوية قبل أن تأخذ شكلها الوظيفي.

● **الحبر الحيوي:** هو جوهر التقنية، فهو ليس مجرد سائل، بل بيئة حيوية متكاملة تتكون من خلايا جذعية (غالباً مستخلصة من المريض لضمان التوافق المناعي التام) ومواد هيدروجيلية توفر الدعم الهيكلي والمغذيات. إنها بمثابة "لغة كيميائية" تملي على الخلايا كيف تنقسم، وتتجمع لتشكل بنية نسيجية وظيفية، محاكاة للبيئة الدقيقة داخل أجسادنا.

● **التحدي الهندسي (الوعائية والتعقيد):** يعتبر بناء "الشبكات الوعائية" داخل الأعضاء المطبوعة بمثابة الهدف الأسمى الذي يسعى العلماء لتحقيقه، وهو التحدي الذي يطلقون عليه "الكأس المقدسة" نظراً لصعوبته البالغة. فالعضو الحي في جسم الإنسان ليس مجرد كتلة صلبة من الخلايا، بل هو نظام حيوي معقد يعتمد في بقائه على شبكة دقيقة من الأوعية والشعيرات الدموية التي تضمن وصول الأكسجين والغذاء إلى كل خلية.

في الطبيعة، تنمو هذه الشبكة المعقدة من الشرايين والأوردة بشكل تلقائي ومذهل خلال مراحل تكوين الجنين. أما في المختبر، فإن إعادة بناء هذا النظام الهندسي المتداخل يمثل أكبر عائق تقني يواجه الباحثين؛ فإذا لم تتوفر شبكة دموية دقيقة ومستمرة لتغذية العضو المطبوع، فإن الخلايا الموجودة في قلبه ستختنق وتموت سريعاً نتيجة نقص الأكسجين. لذلك إن هذا التعقيد الهائل في تصميم هذه القنوات الدقيقة هو السبب الرئيسي وراء بقاء زراعة أعضاء معقدة مثل القلب أو الكلية في طور التجارب المخبرية، لكن التطورات الحديثة في تقنيات "الطباعة رباعية الأبعاد"، التي تتيح للأنسجة أن تتطور وتتشكل ذاتياً مع مرور الوقت، تفتح آفاقا جديدة ومبشرة لتجاوز هذه العقبة في المستقبل القريب.

نبوءة وادي السيليكون.. 2035 وعتبة الـ150 عاما

بعيدا عن الفلسفة، يشهد الميدان سباقا محموما تقوده مؤسسات بحثية كبرى، حيث أصبحت شركة "أورغانوفو" رائدة في تطوير أنسجة كبدية بشرية لاختبارات السمية الدوائية، مما مهد الطريق لتقليل الاعتماد على النماذج الحيوانية المثيرة للجدل أخلاقيا. وفي عام 2022، حققت شركة "ثري دي بايو ثيرابيوتيكس" اختراقا تاريخيا عبر زراعة أذن مطبوعة حيويا لمريضة، باستخدام خلاياها الغضروفية الخاصة.

على الصعيد الأكاديمي، يتصدر معهد "ويك فورست" بقيادة البروفيسور أنتوني أتالا الأبحاث حول "الهندسة المعمارية للأنسجة". ومن ثم، لا تقتصر هذه الجهود على المختبرات الجامعية، بل بدأت شركات عملاقة مثل "يونايتد ثيرابيوتيكس" في استثمار مليارات الدولارات لطباعة "رئات بشرية" قابلة للزراعة، مما ينقل الطباعة الحيوية من حيز البحث النظري إلى "الصناعة الطبية المؤسسية" الخاضعة لرقابة صارمة من هيئات الغذاء والدواء العالمية. وبالتالي نحن بصدد نشوء قطاع اقتصادي جديد هو "صناعة الأعضاء المخصصة"، وهو قطاع يتوقع أن يغير شكل الطب العالمي خلال العقدين القادمين.

> **التعقيد الهائل في تصميم هذه القنوات الدقيقة هو السبب الرئيسي وراء بقاء زراعة أعضاء معقدة مثل القلب أو الكلية في طور التجارب المخبرية**

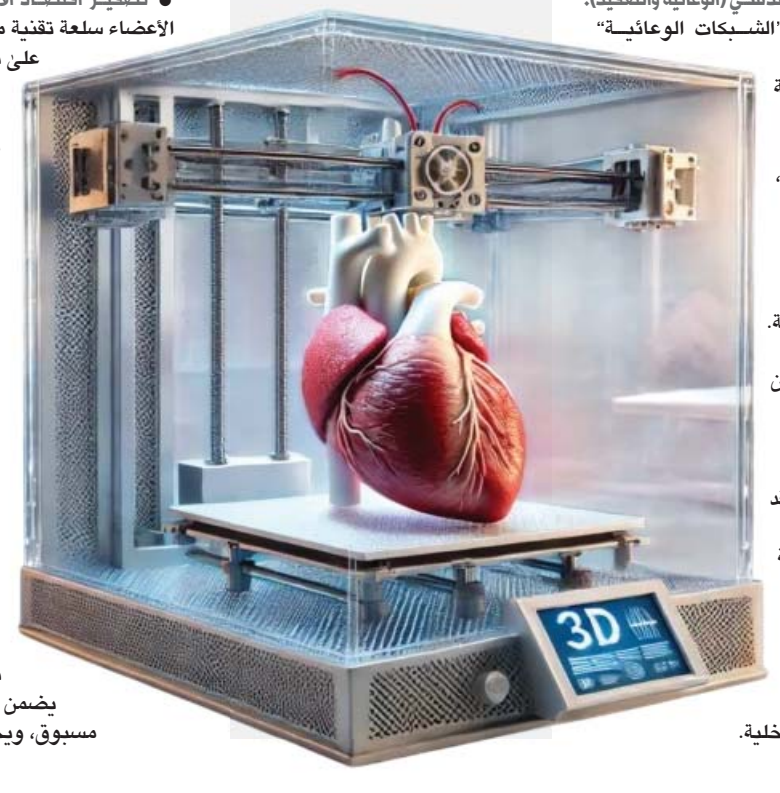

في أروقة "وادي السيليكون"، تحولت الطباعة الحيوية إلى ركيزة أساسية في "مشروع الخلود". إذ بات يتردد بقوة هناك اعتقاد جازم يتبناه نخبة من العلماء والمستثمرين، مفاده: "من يعيش بصحة جيدة إلى عام 2035، سيمتلك الفرصة للعيش إلى 150 عاما". يستند هذا الرهان إلى ما يُعرف بـ"تجاوز سقف العمر البيولوجي"، أي أن وتيرة الابتكارات الطبية ستتطور وتتسارع إلى درجة أننا سنكتسب من العمر ما يتجاوز السنوات التي نستهلكها فعلياً بسبب الشيخوخة.

وفي هذا السيناريو، تصبح الطباعة الحيوية الحل الاستراتيجي في حالة فشل عضوي، فعندما يضعف القلب أو تفشل الكلية، لن ينتظر المريض دوراً في قائمة المتبرعين، بل سيتم "طبع" قطعة غيار بيولوجية متوافقة جينياً. هذا يحول الشيخوخة من حتمية بيولوجية إلى "عطل تقني" يمكن رصده وصيانته، ويجعل عام 2035 نقطة انعطاف تاريخية تحول الأعمار البشرية من مسار خطي محدود (70 – 80 سنة) إلى مسار مرن قابل للتوسع عبر التصنيع البيولوجي الدقيق، وهو تحول يقلب موازين الديموغرافيا العالمية والأنظمة التقاعدية تماماً.

الرهانات الاقتصادية واقتصاد التجديد

تعد الطباعة الحيوية المحرك القادم لاقتصاد الرعاية الصحية العالمي، وتُحدث تغييرا جذريا في قواعد السوق عبر ثلاث ركائز:

● **تصفير اقتصاد الانتظار:** جعل الأعضاء سلعة تقنية متاحة سيقضي على تجارة الأعضاء السوداء، وسيقلب موازين صناعة التأمين التي تقوم حالياً على حساب المخاطر المرتبطة بالأعمار القصيرة والوفيات المبكرة.

● **المختبر الشخصي:** تقليل التجارب على الحيوانات واختبار العقاقير على "نسخة مطبوعة" من نسيج المريض يضمن أماناً طبياً غير مسبوق، ويختصر مليارات الدولارات التي تُنفق في البحث والتطوير وتجربة الأدوية غير الفعالة.

● **الاستقلالية في سلاسل التوريد:** قد تتحول المستشفيات في المستقبل إلى "مصانع بيولوجية" مصغرة تضم طابعات حيوية تقوم بإنتاج الأنسجة عند الحاجة، مما يلغي تماماً المخاطر المرتبطة بنقل الأعضاء، وتكاليف حفظها المرتفعة، ومخاطر رفض الجسم للعضو المزروع، وهذا يعني تحولاً جذرياً في "الخدمات اللوجستية الطبية" عالمياً.

البعد الأمني والجيوسياسي للسيادة الحيوية

تنبثق هنا إشكالية "السيادة الحيوية"؛ إذ يمنح امتلاك تقنية طباعة الأعضاء الدول نفوذاً جيوسياسياً هائلاً، حيث تتحول البيانات الجينية إلى أداة للسيطرة أو الابتزاز، وتتضاعف مخاطر "الإرهاب البيولوجي" حال وقوع هذه التقنيات في أيدٍ غير مسؤولة. إن تحويل النسيج الحي إلى سلاح أو أداة احتكار يخلق نظاماً عالمياً جديداً تُقاس فيه قوة الدولة بقدرتها على تجديد مواطنيها بيولوجياً، مما يجعل "الحدود الجينية" جزءاً لا يتجزأ من الأمن القومي، تماماً كالأسرار العسكرية. وعليه، فإن بروز "قوى عظمى بيولوجية" سيغير خرائط التحالفات الدولية، لتصبح القدرة على توفير "الأعضاء المصنعة" أداة دبلوماسية فائقة التأثير في قرن يتسم بالتنافس الشرس على الموارد التقنية النوعية.

المسألة الوجودية: الجسد، الهوية، والكرامة

يتجاوز التحدي الأخلاقي حدود المخاطر الطبية، بحيث يفتح تحويل الجسد إلى "أنسجة مطبوعة" الباب أمام "تسليع الجسد" وتأطيره كملكية فكرية؛ فإذا كان العضو المطبوع يحمل بصمة "حبر حيوي" مملوك لشركة، فهل يعني ذلك أننا نفقد السيادة القانونية على أجزاء من ذواتنا؟ هذا المنظور يُنذر بخلق "فجوة بيولوجية" بين طبقة غنية تمتلك القدرة على تجديد أجسادها وتعزيز قدراتها، وطبقة تزرح تحت وطأة "البيولوجيا التقليدية". غير أن المسألة لا تقف عند هذا الحد، بل هي أبعد من ذلك، يطرح الفكر الفلسفي تساؤلاً جوهرياً: إذا استبدلنا أجزاءً من عتادنا البيولوجي، فأين تستقر "الهوية"؟ إننا نقترب من "عقدة فرانكشتاين"، حيث يغدو سعينا نحو التغلب على الفناء تهديداً لجوهر المحدودية التي كانت دوماً المصدر الأساسي لتقديرنا لمعنى الحياة.

إن جسدنا الذي تشكل عبر آلام وأفراح هو وعاء هويتنا؛ فهل يبقى الجسد المطبوع في مختبر وعاءً لنفس الذات، أم أنه يخلق "ذاتاً" مختلفة ومجردة من تجاربها التاريخية؟ إن هذا يطرح تساؤلات حول "أصالة الإنسان" في عصر أصبح فيه كل شيء قابلاً للرقمنة، وللنسخ والتبديل، وهو ما يدعونا إلى إعادة النظر في تعريفاتنا الكلاسيكية للذات والشخصية الإنسانية في عالم ما بعد الطبيعة.

التداعيات الثقافية واقتصاد «الإنسان المعزز»

لا تقتصر تداعيات هذه الثورة على الجانب الطبي فحسب، بل تمتد لإعادة صياغة مفاهيم اجتماعية جوهرية كـ "الزواج"، "المهن"، و"التقاعد" في ظل تمديد العمر المتوقع. فنحن بصدد الانتقال من الطب العلاجي إلى "الطب التحسيني" أو "التعزيز البشري"، عبر تقنيات كطباعة رئات ذات كفاءة فائقة أو جلود مقاومة للمؤثرات الخارجية. غير أن هذه الآفاق تفرض تحديات كبرى؛ فإلى جانب استهلاكها الهائل للطاقة، تبرز معضلة "الخمول الوجودي" الناتجة عن تلاشي حتمية الفناء. وهنا يثور تساؤل أخلاقي حول فقدان "الرباط الإنساني" المرتكز على ضعفنا البيولوجي المشترك؛ فهل سنظل قادرين على التعاطف مع بعضنا في عالم يغدو فيه المرض أو الوهن "خطأً تقنياً" يمكن تفاديه، بدلاً من كونه جزءاً أصيلاً من التجربة البشرية؟

في مقابل هذا القلق، تطرح الرؤية التنويرية إطاراً مختلفاً؛ فهي لا تنظر للطباعة الحيوية كتهديد للماهية الإنسانية، بل كأداة لتحرير الإنسان من قيوده: المرض، العجز، والموت المبكر. وبذلك ننتقل من "الحتمية" إلى "السيادة الذاتية"، حيث تعني القدرة على صيانة وتجديد الجسد أننا نكتسب استقلالية أكبر تجاه الطبيعة، مما يجعل من الطباعة الحيوية تتويجاً لمسيرة الإنسان في تحويل "القدر" إلى "خيار". ومن ثم، فإن حرية الفرد في ترميم جسده هي التطور المنطقي للحقوق المدنية، فالإنسان الذي استطاع بناء الحضارات لا يمكنه أن يرضى بالخضوع النهائي لأمراض يمكن علاجها تقنياً، وهذا يعني أننا بصدد مرحلة جديدة من الحرية الشخصية التي تتجاوز التبعية البيولوجية المطلقة نحو آفاق جديدة من التمكين الفردي الذي يعزز من كرامة الحياة وجودتها، ويقلص من فرص المعاناة غير المبررة.

نحو ميثاق حضاري للسيادة البيولوجية

إن الانتقال من "الصدفة البيولوجية" إلى "التصميم المتعمد" يفرض علينا صياغة "ميثاق عالمي للسيادة البيولوجية". هذا الميثاق ليس مجرد وثيقة قانونية، بل سياج أخلاقي يضمن أن تظل التقنية "أداة تحرير" لا "أداة سيطرة". ويجب أن يرتكز على ثلاثة أعمدة:

● **قدسية الشفرة الجينية:** بوصفها خصوصية مطلقة لا يجوز استغلالها تجارياً أو أمنياً بأي شكل كان، واعتبار الجينوم البشري جزءاً من التراث المشترك للإنسانية غير القابل للخصخصة.

● **العدالة التوزيعية:** لضمان ألا تتحول التكنولوجيا التجديدية إلى امتياز طبقي يمزق وحدة النوع البشري ويخلق "بشراً متفوقين" و"بشراً تقليديين" في طبقات اجتماعية متناحرة، مما يستدعي سياسات عالمية لدمقرطة الرعاية الحيوية.

● **الاستدامة الأخلاقية:** لضمان ألا نحول كوكبنا إلى مختبر استهلاكي مهدر، وألا نفقد "الرباط الإنساني" المرتكز على التعاطف مع الضعف البشري، والموازنة بين الرغبة في التطور وبين الحفاظ على القيم الجوهرية التي تمنح حياتنا معناها الفريد.

> **لتحدي القادم ليس في «كيف نطبع»، بل في «لماذا نطبع»؟ وهل نحن جاهزون لنكون المبدعين الحقيقيين لذواتنا**

إننا نقف أمام شاشة الطابعة، ننتظر اكتمال النسيج الحي، لكننا في الحقيقة نطبع مستقبلنا. ومع كل قطرة من الحبر الحيوي، نكتب صفحة جديدة في ملحمة الإنسان الذي قرر أن يمسك بيده "خيوط الحياة". إن التحدي القادم ليس في "كيف نطبع"، بل في "لماذا نطبع"؟ وهل نحن جاهزون لنكون المبدعين الحقيقيين لذواتنا، أم أننا نفتح باباً لمتاهة وجودية لا نملك خارطة للعودة منها؟ فالطباعة الحيوية هي بوابتنا نحو الخلود الفيزيائي، لكنها تظل الاختبار الأخطر لجوهر "بشريتنا" في عالم بات فيه النبض معيارا تقنيا قابلا للنسخ. إن إدراكنا لهذا التوازن الدقيق بين القدرة والمسؤولية هو ما سيحدد ما إذا كنا سنكتب تاريخا جديدا يليق بكرامة الإنسان، أم سنمحي ملامحه في سبيل سراب تقني لا يعرف الشبع.

في الختام، يظل الإنسان "بروميثيوس" الجديد؛ يمسك بنار المعرفة، ويطبع الحياة، لكن عليه أن يدرك أن نار المعرفة قادرة على إنارته أو حرقه على نحو سيان. إن طريقنا إلى المستقبل يمر عبر هذا الميثاق، عبر توازن دقيق بين الرغبة في التحرر من المرض والموت، والالتزام بحماية ما يجعلنا بشراً. لذلك، نحن اليوم لا نطبع الأنسجة فحسب، نحن نطبع مصير النوع البشري بأسره، فليكن تصميماً يليق بكرامة الوجود وبحكمة التاريخ، لا مجرد استجابة لشهوة الخلود التي قد تنسينا أن الجمال في الحياة يكمن في محدوديتها.

العرب
السبت 2026/06/27
السنة 49 العدد 13846

تسريع الخصخصة يدعم الإصلاحات الاقتصادية في مصر

مبيعات الأصول الحكومية تسهّل الحصول على تمويل بقيمة 1.6 مليار دولار من صندوق النقد الدولي

يتسارع في مصر تنفيذ برنامج الخصخصة والتخارج من عدد من الأصول الحكومية، ضمن توجه اقتصادي أوسع يستهدف تعزيز دور القطاع الخاص ودعم مسار الإصلاحات المالية، في إطار الالتزامات المتفق عليها مع صندوق النقد الدولي رغم التحديات التي لا تزال تعيق تنفيذ الحكومة لوعودها.

تنظيم الاقتصاد يحتاج وقتا

القاهرة - تشهد مصر في المرحلة الحالية تسارعا ملحوظا في برنامج الخصخصة والتخارج من عدد من الأصول الحكومية، في إطار مساع أوسع لتعزيز الإصلاحات الاقتصادية وتحفيز دور القطاع الخاص في قيادة النمو.

ويأتي هذا التوجه في وقت تعمل فيه الحكومة على تنفيذ التزاماتها ضمن برامج التعاون مع صندوق النقد الدولي، بهدف تحسين كفاءة الاقتصاد وزيادة تدفقات الاستثمار الأجنبي، إلى جانب دعم استقرار المؤشرات المالية الكلية.

وأفادت مصادر مطلعة لوكالة بلومبيرغ بأن مبيعات الأصول الحكومية الأخيرة قد حققت أهداف مراجعة صندوق النقد، مما يُسهّل الحصول على تمويل بقيمة 1.6 مليار دولار تقريبًا لاقتصاد مصر الذي تضرر بشدة من الحرب مع إيران.

وأوضحت المصادر أن القاهرة استوفت أيضًا معايير أخرى لاتفاقية صندوق النقد الدولي المبرمة عام 2024، بما في ذلك اعتماد عملة مرنة.

وأشارت المصادر، التي طلبت عدم الكشف عن هويتها نظرًا لسرية المحادثات، إلى قرب الإعلان عن اتفاق على مستوى الخبراء.

وتسعى القاهرة إلى توسيع دور القطاع الخاص في الاقتصاد عبر برنامج الطروحات الحكومية، الذي يستهدف قيد وطرح حصص من الشركات المملوكة للدولة في البورصة المصرية أو لمستثمرين استراتيجيين.

جولي كوزاك

نتواصل مع السلطات بشأن تطوير برنامج بيع الأصول

ويُعد هذا البرنامج إحدى الركائز الرئيسية للإصلاحات الاقتصادية التي تنفذها الحكومة بالتعاون مع صندوق النقد، لتخفيف تدخل الدولة وهيمنتها على مفاصل الاقتصاد المصري البالغ حجمه نحو 429.64 مليار دولار.

ومن المتوقع أن يحقق الاقتصاد نسبة نمو تبلغ 4.6 في المئة خلال العام المالي الجاري، وتستهدف الدولة رفع حجم الناتج ليقارب 24.5 تريليون جنيه (قرابة 500 مليار دولار).

وأحال صندوق النقد وكالة بلومبيرغ إلى مؤتمر صحفي عقدته المتحدثة باسمه، جولي كوزاك الخميس، حيث ذكرت أن المناقشات جارية وأن الهدف هو تمكين صرف التمويل هذا الصيف.

> المستثمرون الذين ضخوا مليارات الدولارات في سوق الدين يتابعون عن كثب التقدم المحرز في مراجعات الصندوق

وأكدت كوزاك أن المؤسسة الدولية المانحة ترحب بجهود مصر لتعزيز تعبئة الإيرادات المحلية، ويستمر التواصل مع السلطات بشأن تطوير برنامج خصخصة الأصول الحكومية.

وضاعفت مصر، الدولة العربية الأكثر اكتظاظًا بالسكان في الشرق الأوسط، برنامج قروض صندوق النقد القائم إلى أكثر من الضعف ليصل إلى 8 مليارات دولار في أوائل عام 2024.

وكان ذلك ضمن خطة إنقاذ أوسع نطاقًا بقيمة 57 مليار دولار من التمويل والاستثمارات من الشركاء الدوليين، حيث فاقمت التداعيات غير المباشرة للحرب في غزة المجاورة الأزمة الاقتصادية.

ويتابع المستثمرون الأجانب، الذين ضخوا مليارات الدولارات في سوق الدين المحلي في السنوات الأخيرة، عن كثب التقدم المحرز في المراجعات الدورية التي يجريها صندوق النقد.

وأدت الحرب الأميركية – الإسرائيلية على إيران إلى ضغوط جديدة، مما تسبب في خروج بعض محافظ الاستثمار وانخفاض قيمة الجنيه المصري.

وقد انعكس هذا الوضع جزئيًا في الأسابيع الأخيرة مع اقتراب الولايات المتحدة وإيران من التوصل إلى اتفاق سلام مؤقت.

وتراجعت قيمة العملة المحلية بنحو 8 في المئة منذ اندلاع التوترات الإقليمية المرتبطة بحرب إيران في فبراير الماضي، ما أدى إلى تصاعد معدلات التضخم وزيادة المخاوف بشأن استقرار الجنيه.

وتُعد المراجعة الحالية هي السابعة وقبل الأخيرة لبرنامج مصر مع صندوق النقد. وقد أعقبت اتفاقيات مستوى الخدمة السابقة، بعد بضعة أسابيع، اجتماع المجلس التنفيذي للصندوق وصرف شرائح القروض.

ولطالما حثّ الصندوق مصر على تقليص دور الدولة في الاقتصاد والسماح للقطاع الخاص بالمنافسة بحرية أكبر. وقد أشارت صفقتان أُبرمتا خلال الشهر الماضي إلى إحراز تقدم في هذا الصدد، بحسب مصادر مطلعة.

وفي وقت سابق هذا الشهر وقّعت شركة الطاقة المصرية طاقة عربية اتفاقية للاستحواذ على حصة 10 في المئة في كيان مُنشأ حديثا، سيستحوذ بدوره على نحو 170 محطة وقود مملوكة حاليًا لشركة الوطنية، وهي شركة وقود تابعة للجيش.

وستتولى طاقة إدارة وتشغيل الكيان الجديد بالكامل، مع خيار الاستحواذ على حصة إضافية بنسبة 15 في المئة عند إدراجه في سوق الأسهم المصرية.

ولم يُكشف عن قيمة الصفقة، إلا أنها لاقت ترحيبًا محليًا باعتبارها إنجازًا هامًا، إذ تُمثل أول عملية بيع جزئي لأصول مرتبطة بالجيش إلى القطاع الخاص. وتمتلك الهيئة الوطنية لمشاريع الدولة التابعة للجيش حصة 20 في المئة في شركة طاقة.

وأعلنت الحكومة في مارس الماضي عن خطط لبيع حصة تصل إلى 20 في المئة من شركة مصر لتأمينات الحياة بقيمة 270.4 مليون دولار، وهي خطوة كانت مطروحة منذ أكثر من 15 عاماً.

كما تعتزم الانتهاء من طرح بنك القاهرة في البورصة في نوفمبر المقبل، وقد توقع مساعد رئيس مجلس الوزراء، والرئيس التنفيذي لوحدة الشركات المملوكة للدولة، هاشم السيد تغطية نسبة الثلاثين في المئة من الطرح خلال أسبوع واحد فقط.

> 561
> شركة تملكها الدولة تنشط في 18 قطاعا اقتصاديا، موزعة بين 45 جهة في 16 محافظة

وعلى مدى السنوات الماضية، سعت الحكومة إلى طرح بنك القاهرة، ثالث أكبر بنك مملوك للدولة في البورصة، إلا أن ذلك لم يتحقق، رغم قيد أسهم البنك البالغ عددها 10.25 مليار سهم، في سوق الأوراق المالية منذ 2017.

وفي يونيو 2025، توقفت مفاوضات استحواذ بنك الإمارات دبي الوطني على كامل أسهم بنك القاهرة، بسبب خلاف حول التسعير، بعد تباين وجهات النظر بين الطرفين بشأن القيمة النهائية للصفقة.

وعرض البنك الإماراتي 1.2 مليار دولار، ثم رفع السعر إلى 1.5 مليار دولار، إلا أن الحكومة تمسكت بمبلغ 1.8 مليار دولار لكامل أسهم البنك. ثم قررت الحكومة طرح حصة من البنك في البورصة بدلاً من بيعها لمستثمر استراتيجي.

وتُظهر بيانات حكومية تباطؤ وتيرة تنفيذ برنامج الطروحات، إذ جمعت البلاد نحو 5.8 مليار دولار فقط منذ يونيو 2022 وحتى يونيو 2025، أي ما يعادل 47.5 في المئة من الحصيلة المستهدفة البالغة 12.2 مليار دولار.

رهانات المستثمرين على الفائدة تعزز قوة الدولار

نيويورك - يدخل الدولار النصف الثاني من 2026 على ارتفاع، بفضل التوقعات برفع الفائدة الأميركية، والرغبة المتزايدة في اقتناص الأصول الأميركية من قبل المستثمرين الذين يسعون وراء "الاستثنائية الأميركية"، ما قد يُنذر بمزيد من التراجع للعملات الأخرى.

ويُعد الدولار العملة الأفضل أداءً في النصف الأول من العام، حيث ارتفع بنسبة 3 في المئة، وهو ما يتناقض مع أدائه قبل عام، عندما كان يعاني من انخفاض بأكثر من 10 في المئة، في أكبر تراجع له منذ أوائل السبعينات، بسبب سياسة التعريفات الجمركية الأميركية.

والآن، حتى مع انخفاض أسعار الطاقة ومخاطر التضخم نتيجة لاحتمال وقف الحرب في الشرق الأوسط، فإن قوة الاقتصاد الأميركي المدعومة بطفرة الذكاء الاصطناعي تعني أن المستثمرين ما زالوا يتوقعون أن تكون الخطوة التالية في أسعار الفائدة رفعًا لا خفضًا.

ويقول المحللون إن هذا الوضع يدعم الدولار، الذي كان مدعومًا بالفعل بالتوترات الجيوسياسية.

ويُبقي التشدد السياسي لرئيس مجلس الاحتياطي الفيدرالي (البنك المركزي الأميركي) الجديد، كيفن وارش، التركيز على التضخم، الذي لا يزال أعلى بكثير من هدف الاحتياطي الفيدرالي البالغ اثنين في المئة.

ويتوقع المتداولون رفعًا واحدًا على الأقل لأسعار الفائدة هذا العام، مع احتمال متساوٍ لرفعها مرة أخرى، بعد أن كان الوضع مستقرًا قبل أسابيع قليلة.

وليس من المستغرب أن يصل الدولار إلى أعلى مستوياته في 40 عامًا مقابل الين، مما يُثير قلق المسؤولين اليابانيين، ويقترب من أعلى مستوياته هذا العام مقابل اليورو.

ويقول ستيفن جين، الرئيس التنفيذي وكبير مسؤولي الاستثمار في شركة يوريزون أس.أل.جي لإدارة الأصول، "شراء السلع الأميركية أصبح أكثر تكلفة، لكن هذا قد لا يُثني أحدًا".

وأضاف في تصريحات لوكالة رويترز "لا أحد في العالم، بما في ذلك الولايات المتحدة، يرحب بقوة الدولار".

لكن الشركات الأميركية، والتواجد في الولايات المتحدة، يُعدّان قيّمين للغاية وجذابين. وتستثمر الشركات الأجنبية بكثافة في الولايات المتحدة لترسيخ وجودها، وهذا ما يدعم الدولار أيضًا.

ويواجه صانعو السياسات من أوكلاند إلى زيورخ تحديات ضعف العملات، ما قد يرفع فواتير الاستيراد. ورغم انخفاض أسعار الطاقة ارتفعت تكلفة الغذاء والسفر والسلع والخدمات الأخرى بشكل كبير.

ووصل الوون الكوري الجنوبي إلى مستويات قياسية منخفضة، ما أدى إلى انتعاش سوق الأسهم وإثارة قلق الجهات التنظيمية. ودعمت الأسواق الناشئة، مثل الهند، عملاتها أو رفعت أسعار الفائدة لمواجهة قوة الدولار.

وتُظهر بيانات لجنة تداول العقود الآجلة للسلع أن المستثمرين راهنوا على استمرار قوة الدولار بأسرع وتيرة مسجلة خلال النصف الأول من العام.

ويحتفظ المضاربون بمراكز شراء صافية بقيمة تقارب 30 مليار دولار، وهي الأكبر منذ بداية ولاية دونالد ترامب الثانية. وتعد وتيرة تراكم هذه الحيازات، بزيادة صافية قدرها 37 مليار دولار، الأسرع خلال النصف الأول من العام منذ بدء تسجيلات لجنة تداول السلع الآجلة في عام 2012.

وقال جوزيف بورتيل، مدير المحافظ في شركة نيوبيرجر، لرويترز "أعتقد بالتأكيد أنه على المدى القريب يكمن الخطر في ارتفاع قيمة الدولار نتيجة لزيادة أسعار الفائدة الحقيقية في الولايات المتحدة".

ستيفن جين

لا أحد، بما في ذلك الولايات المتحدة، يرحب بقوة الدولار

وتساءل "هل يمكننا الخروج من هذا النطاق الذي استقررنا فيه خلال الأشهر الستة إلى التسعة الماضية؟ أعتقد أن ذلك مرجح".

وأضاف أن "رؤية شركته هي أن الدولار سيضعف على المدى الطويل، نظرًا للمخاوف الهيكلية مثل استدامة المالية العامة للحكومة الأميركية".

وحققت البيانات الاقتصادية الأميركية مفاجآت إيجابية شبه متواصلة منذ أبريل الماضي، بينما تجاوز نمو الأرباح التوقعات.

وأشار بنك مورغان ستانلي في مذكرة إلى أنه لا يمكن تجاهل خطر انخفاض اليورو إلى 1.1 دولار على المدى القريب، إذا استمرت الأسواق في توقع سياسة نقدية متشددة من جانب الاحتياطي الفيدرالي. ويتداول اليورو حاليًا عند حوالي 1.135 دولار.

> الأسواق تتوقع رفعا واحدا على الأقل لأسعار الفائدة من قبل الاحتياطي الفيدرالي الأميركي خلال هذا العام

تنوع الطلب العالمي يعزز صادرات التمور التونسية

تونس - عزز تنوع الأسواق العالمية المستوردة للتمور التونسية ديناميكية هذا القطاع ومنحه قدرة أكبر على الصمود أمام تقلبات الطلب في الأسواق التقليدية.

ويأتي هذا الأداء في سياق ارتفاع الصادرات نحو وجهات متعددة في أوروبا وآسيا وأفريقيا، ما يعكس توسع قاعدة الطلب الدولي على التمور.

وتشير البيانات إلى تزايد اعتماد هذه المنتجات في عدد من الأسواق الكبرى، وعلى رأسها صنف دقلة النور، التي تواصل الحفاظ على مكانتها كأحد أبرز الأصناف الموجهة للتصدير.

وسجلت عائدات صادرات التمور زيادة طفيفة، بنسبة 4.8 في المئة، خلال الأشهر الثمانية الأولى من موسم 2025 – 2026، حيث قدّرت بنحو 770.7 مليون دينار (248.6 مليون دولار أميركي).

ويفسر ذلك بزيادة الكميّات، بنسبة 5.3 في المئة على أساس سنوي، والتي بلغت 121.5 ألف طن، مقابل 115.4 ألف طن خلال الفترة ذاتها من الموسم المنقضي، وفق معطيات صدرت الجمعة عن المرصد الوطني للفلاحة.

ويقدر محصول التمور لموسم 2025 – 2026 بحوالي 404 آلاف طن مقابل 347 ألف طن خلال الموسم الماضي، أي بنسبة نمو تبلغ 16.3 في المئة، وفق معطيات تناولها اجتماع اللجنة الوطنية لمتابعة برامج تدخّل صندوق النهوض بجودة التمور مؤخرا.

وتُعدّ هذه الحصيلة، حسب وزارة الفلاحة، "قياسيّة إذ تتجاوز للمرّة الأولى عتبة 400 ألف طن".

ويتوزّع الحصاد المقدّر إلى حوالي 347 ألف طن من دقلة النور مقابل 293 ألف طن في الموسم الماضي، أي بنسبة نمو تصل إلى 18.3 في المئة، إضافة إلى 57 ألف طن من تمور المطلق مقابل 54 ألف طن خلال الموسم الماضي.

> 248.5
> مليون دولار إيرادات تصدير 121.5 ألف طن خلال الأشهر الثمانية الأولى من الموسم الحالي

ووفق البيانات التي أوردتها وكالة الأنباء التونسية الرسمية شكلت دقلة النور نحو 83.3 في المئة من إجمالي الكميّات المصدرة منذ أكتوبر 2025 إلى غاية مايو الماضي، ما يؤكّد مكانة هذا الصنف من التمور الموجّهة إلى الأسواق الخارجية.

كما أظهرت معطيات المرصد تراجع متوسط أسعار التمور بنسبة 7 في المئة خلال شهر مايو الماضي على أساس سنوي ليبلغ قرابة ستة دنانير (1.96 دولار) للكيلوغرام، فيما بلغ متوسط سعر دقلة النور 7.2 دينار (2.35 دولار) للكيلوغرام، متراجعا بنسبة 5.9 في المئة.

العرب
السبت 2026/06/27
السنة 49 العدد 13846

هل تنجح إعادة هيكلة البيانات في إنقاذ الإعلام المصري؟

محاولة إستراتيجية من وزارة الإعلام المصرية لاستعادة المبادرة في تشكيل السردية الوطنية

معلومات تهم الجميع

تواجه البيئة الإعلامية في مصر مرحلة انتقالية حاسمة بعد سنوات من الركود الإعلاني والتضييق غير المباشر على مصادر الأخبار الرسمية، بدأ باعتراف رسمي صريح بوجود أزمة عميقة في إتاحة المعلومة.

القاهرة - سلط إعلان وزير الدولة للإعلام في مصر ضياء رشوان عن توجه حكومي جاد لطرح مشروع قانون حرية تداول المعلومات، الضوء على "إعادة هيكلة البيانات وتدفقها"، ليمثل محاولة حقيقية لضخ الدماء في شرايين الصحافة الورقية والرقمية التي كادت تجف بفعل غياب البيانات الرسمية الموثقة في الوقت المناسب.

ويعتقد خبراء الإعلام ومراقبون سياسيون أن "إعادة هيكلة البيانات وتدفقها" ليست مجرد إعادة ترتيب إداري للمكاتب الصحفية، بل هي اعتراف رسمي صريح بوجود أزمة عميقة في إتاحة المعلومة.

ويعكس هذا الاعتراف، بحسب الخبراء، إدراكاً متأخراً لدى صناع القرار بأن غياب البيانات الدقيقة والسريعة لم يعد مجرد إشكالية مهنية تقتصر على الصحفيين، وإنما تحول إلى مشكلة وطنية تؤثر على تشكيل الرأي العام واستقرار المجتمع.

ولعقود طويلة سادت ثقافة التكتم الإداري في الكثير من أجهزة الدولة، حيث كان التعامل مع المعلومة يُدار كـ"منحة" تُمنح حسب الظروف أو حسب تقدير المسؤول. وأدى ذلك إلى فراغ معلوماتي كبير ملأته منصات التواصل الاجتماعي بسرعة فائقة.

وأصبحت هذه المنصات بديلاً مشوهاً يصنع رأياً عاماً مبنياً أساساً على الشائعات والمعلومات المغلوطة والروايات المتضاربة، في غياب الرواية الرسمية السريعة والموثقة. وهكذا تحول غياب البيانات من مشكلة إعلامية إلى أداة تُستغل لنشر الشكوك وتعميق الانقسامات.

ويشير خبراء في علم الاجتماع الإعلامي إلى أنه عندما تتأخر الرواية الرسمية ساعات أو أياما يملأ المستخدمون العاديون والمؤثرون هذا الفراغ بتفسيرات شخصية أو بمعلومات غير مؤكدة، غالباً ما تكون مثقلة بالعواطف أو الأجندات.

وفي قضايا اقتصادية أو أمنية أو خدمية، يؤدي هذا الفراغ إلى تضخيم الأزمات، وأحياناً إلى حالة من الذعر العام أو فقدان الثقة في المؤسسات.

ويؤكد المراقبون أن إعادة هيكلة البيانات إذن ليست مجرد تحديث تقني أو إداري، بل هي محاولة إستراتيجية لاستعادة المبادرة في تشكيل السردية الوطنية. فبدلاً من أن تكون الدولة في موقع الدفاع أو الرد المتأخر، تصبح قادرة على تقديم الحقائق أولاً بأول، مما يقلل من فرص الشائعات ويعزز الثقة العامة. لذلك يُعد مشروع قانون حرية تداول المعلومات، المصاحب لإعادة هيكلة مكاتب المتحدثين الرسميين وتأهيلهم، خطوة إستراتيجية لكسر هذه الدائرة.

لكن النجاح لن يُقاس بإصدار القانون فقط، وإنما بتغيير الثقافة الإدارية ومدى التزام الأجهزة التنفيذية بالرد السريع والشفاف. وفي لقائه الأخير مع رؤساء تحرير الصحف الخاصة والحزبية، أكد ضياء رشوان أن الحكومة جادة في إصدار القانون، مشيراً إلى أنه كصحفي ونقيب سابق للصحفيين غير راض عن الوضع الحالي للإعلام، ويطمح لتغييره جذريا.

> النجاح لن يُقاس بإصدار القانون فقط، وإنما بتغيير الثقافة الإدارية ومدى التزام الأجهزة التنفيذية بالرد السريع والشفاف

وتتجاوز الخطة، بحسب المراقبين، مجرد إصدار تصريحات عابرة، وترتكز على محاور هيكلية عميقة تربط وسائل الإعلام مباشرة بمركز القرار. كما ستفكك البيروقراطية عبر إلزام المكاتب الإعلامية في الوزارات بالرد خلال ساعات معدودة على استفسارات الصحافة، مع رفع كفاءة المتحدثين الرسميين عبر برامج تدريبية إجبارية مكثفة.

وأعلن رشوان العمل على مشروع متكامل لإعادة هيكلة منظومة المتحدثين الرسميين والمكاتب الإعلامية في الوزارات والهيئات، تنفيذاً لتوجيهات رئاسية، مع التركيز على التأهيل والاختيار الدقيق.

ويسعى القانون إلى تحويل الحق في المعرفة من "منحة" يمنحها المسؤول حسب مزاجه إلى التزام قانوني مكمل للدستور المصري (المادة 68).

وأكد رشوان أن الوزارة تقوم حالياً بتنفيذ خطوات عملية لتطوير هذه المكاتب، مع التركيز على توفير بيانات ومعلومات موثقة لتجنب التسرع في الأحكام عبر وسائل التواصل. ورغم التفاؤل النقابي والترحيب الواسع، يحذر خبراء ومراقبون من أن هذه الهيكلة تواجه تحديات جوهرية تتطلب حلولاً جذرية، على رأسها ثقافة الحجب البيروقراطية، إذ لا تزال بعض الأجهزة الإدارية ترفض تمرير البيانات وتفضل السرية الكلاسيكية، مما يعيق التدفق السريع حتى بعد صدور القانون.

كما تعاني المؤسسات الصحفية من معضلة التمويل والتعثر الاقتصادي التي تعوق تأهيل الكوادر، وتحديث غرف الأخبار الرقمية، وتطوير البنية التحتية التقنية.

ويُعد اختبار الأمن القومي من أبرز التحديات، إذ يجب أن يحقق القانون توازناً دقيقاً بين إتاحة البيانات العامة وحماية الملفات السيادية الحساسة، خاصة في ظل التحديات الإقليمية والأمنية.

ويُنظر إلى القانون، كما أشار رشوان في تصريحات سابقة، كوسيلة لحماية المواطنين من المعلومات المغلوطة، مع التأكيد على أنه سيكون على طاولة الحوار الوطني.

وإذا نجحت وزارة الدولة للإعلام في تمرير القانون وتفعيل إعادة الهيكلة، فإن ذلك لن يكون انتصاراً مهنياً للصحفيين فحسب، بل ضرورة إستراتيجية لحماية الأمن القومي المعرفي في مصر، كما يرى مراقبون. وسيقلل ذلك من الفوضى الرقمية، ويعزز الثقة في المصادر الرسمية، ويساعد على مواجهة حملات التشكيك والشائعات.

العبرة، في تقدير الخبراء، لن تكون في نصوص القانون أو البيانات الرسمية فقط، بل في مرونة الأجهزة التنفيذية وقدرتها على التخلي عن عقلية "حجب البيانات" لصالح "المشاركة اللحظية".

وتمثل هذه الخطوات فرصة تاريخية لإعادة بناء منظومة إعلامية قوية تعكس الواقع المصري بدقة، وتدعم جهود التنمية الشاملة. والنجاح مرهون بجدية التنفيذ والتعاون بين كل الأطراف: الحكومة، والصحافة الخاصة، والمجتمع المدني.

المغرب يؤسس لجيل جديد من الصحفيين الرياضيين

الرباط - أعلن محمد المهدي بنسعيد، وزير الشباب والثقافة والتواصل، أن الدفعة الأولى من ماستر الصحافة الرياضية بالمعهد العالي للإعلام والاتصال ستتخرج خلال السنة الجارية. وأكد الوزير أن فتح هذا الماستر المتخصص يأتي في إطار اتفاقية شراكة بين الوزارة والجامعة الملكية المغربية لكرة القدم، بهدف تكوين صحفيين متخصصين في المجال الرياضي، الذي ظل غائبا لسنوات طويلة.

وشدد بنسعيد، خلال الجلسة الأسبوعية للأسئلة الشفهية بمجلس النواب، على المجهودات الكبيرة التي بذلتها القنوات العمومية، خاصة بإطلاق أربع قنوات تلفزية مخصصة حصريا للرياضة.

وأشار إلى أهمية هذا التطور في ظل تزامن انطلاق كأس العالم مع استمرار البطولة الوطنية، مشيدا ببرامج قناة "دوزيم" اليومية ودور الأفلام الوثائقية في توثيق مسيرة كرة القدم المغربية.

وأكد الوزير أن الرياضة أصبحت صناعة حقيقية، متوقعاً أن تساهم في حل إشكاليات التشغيل وتلبية تطلعات الشباب.

وتُعد هذه الخطوة جزءا من إستراتيجية وطنية أوسع تهدف إلى الرفع من جودة الإعلام الرياضي ومواكبة التطور السريع للرياضة المغربية، سواء على مستوى المنتخبات الوطنية أو الأندية أو البنى التحتية. فالتخصص في الصحافة الرياضية يفتح آفاقاً مهنية جديدة للشباب، ويُنتج محتوى إعلاميا أكثر عمقا ودقة، ويساهم في تعزيز الصورة الإعلامية للمغرب دوليا.

ويلاحظ المتخصصون أن أغلب الإعلاميين الرياضيين كانوا يأتون من خلفيات عامة (أدبية أو إعلامية)، مما جعل التغطية أسيرة الحدث اليومي دون تحليل علمي أو عمق معرفي.

ويأتي ماستر الرياضة ليصحح هذا الخلل من خلال تكوين متخصصين يجمعون بين المهارات الصحفية والمعارف الرياضية.

ويرى الإعلامي والمحلل الرياضي سعيد التمساماني أن "الصحافة الرياضية في المغرب أصبحت اليوم أمام مرحلة حاسمة وهو الانتقال من منطق الفرجة إلى مسؤولية القيم وبناء الوعي. التخصص الأكاديمي مثل ماستر الصحافة الرياضية سيساهم في رفع مستوى الخطاب الإعلامي وجعله أداة للتنمية الرياضية والحضارية".

من جهته يؤكد خبراء شاركوا في ندوات حول تطوير الإعلام الرياضي أن "غياب الصحافة المتخصصة كان يحد من قدرة الإعلام على مواكبة التظاهرات الكبرى وصناعة ثقافة رياضية علمية". ويضيفون أن تخرج الدفعات الجديدة سيسمح بإنتاج محتوى يربط بين الأداء الرياضي والصحة والإدماج الاجتماعي، خاصة مع استضافة المغرب لتظاهرات دولية كبرى.

كما أبرز بعض المتخصصين أن هذا الماستر يفتح أبواباً مهنية متنوعة داخل القنوات الرياضية والمنصات الرقمية وأقسام التواصل في الأندية، وحتى الإنتاج الوثائقي، مما يجعله رافعة حقيقية للتشغيل الشبابي في قطاع واعد.

> يتوقع أن يشهد الإعلام الرياضي المغربي دفعة قوية من الكفاءات القادرة على رواية قصة الرياضة المغربية بطريقة احترافية

ومع تخرج الدفعة الأولى، يتوقع أن يشهد المشهد الإعلامي الرياضي المغربي دفعة قوية من الكفاءات القادرة على رواية قصة الرياضة المغربية بطريقة احترافية وجذابة. هذه المبادرة ليست مجرد برنامج تكويني، بل هي استثمار إستراتيجي في صناعة الرياضة كمحرك اقتصادي واجتماعي وثقافي في ظل النهضة الرياضية التي يعيشها المغرب.

نهضة رياضية مغربية

خطوط حمراء ترسم الملامح الجديدة للإعلام السوري

دمشق - أصدرت وزارة الإعلام السورية تعميما رسميا حازما حددت بموجبه حزمة من المحظورات الرئيسية لتنظيم النشر والعمل الإعلامي الرقمي والتقليدي، حيث تعكس هذه الخطوة مساعي السلطات لفرض انضباط قانوني وأخلاقي صارم في المشهد الإعلامي المتنامي وتجنب الفوضى الرقمية.

وجاء هذا التعميم ليلزم كافة وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي بضوابط صارمة متوعدا المخالفين بالمساءلة القانونية والملاحقة القضائية، حيث ركزت البنود بشكل أساسي على حظر نشر الأسرار والوثائق السيادية التي تخص الجيش أو الأجهزة الأمنية والمحتوى الذي يحرض على الشغب والعنف، بالإضافة إلى منع امتهان الأديان والرموز السماوية والعقائد الدينية بكافة أشكال السخرية.

كما شملت الضوابط تجريم خطاب الكراهية والتحريض الطائفي أو العرقي الذي يمس اللحمة المجتمعية، وحظر انتهاك الخصوصية والتشهير بنشر صور الأفراد أو تفاصيل حياتهم الخاصة دون إذن مسبق، إلى جانب منع نشر الأخبار الكاذبة والشائعات المضللة التي تلحق الضرر بالاقتصاد الوطني، والابتعاد التام عن المواد التي تخدش الحياء العام وتخالف النظام الأخلاقي للمجتمع.

وتعكس هذه القرارات رغبة واضحة من الدولة في ضبط التدفق المعلوماتي الحساس وسد الثغرات الإلكترونية التي قد تُستغل في إثارة القلاقل، مع السعي لتحصين الجبهة الداخلية ومنع الاستقطاب الطائفي، فضلاً عن حماية السوق المحلية من الذعر الاستهلاكي المرتبط بالشائعات الاقتصادية والتقلبات المالية وتضليل الرأي العام.

ويأتي هذا التعميم ضمن سلسلة إجراءات تنظيمية بدأت بعد سقوط نظام بشار الأسد في ديسمبر 2024، خلال المرحلة الانتقالية التي تشهدها سوريا. وبعد عقود من السيطرة المطلقة على الإعلام تحت النظام السابق، شهد الفضاء الرقمي والإعلامي انفجارا غير مسبوق في الحريات، مصحوبا بفوضى معلوماتية، وانتشار الشائعات، والاستقطاب الطائفي/العرقي.

> يعكس التعميم تحديا كلاسيكيا لدول ما بعد التغيير: كيف تجمع بين حرية التعبير والحاجة إلى الاستقرار والوحدة

وتسعى الحكومة الانتقالية إلى بناء "دولة مؤسسات"، حيث يُعتبر تنظيم الإعلام إحدى أدوات تحقيق الاستقرار. وسبق هذا التعميم إجراءات مثل إلزام المنصات بالترخيص، ومنع مقابلات مع رموز النظام السابق، وإيقاف بعض المنصات غير المرخصة مثل "جسور نيوز" و"هاشتاغ" في مارس 2026.

وفي الوقت الذي ترى فيه الجهات الرسمية أن هذه القيود تمثل خطوة مهنية وأخلاقية لتطهير الفضاء الرقمي من الابتزاز والتشويه، تثير هذه المحظورات مخاوف لدى بعض الأوساط الحقوقية والإعلامية من مرونة المصطلحات الفضفاضة، مما قد يحول الضوابط إلى أداة لتقييد الصحافة الاستقصائية ودفع المنصات المحلية نحو رقابة ذاتية مفرطة وخفض سقف النقد الموجه للمؤسسات العامة.

ويخشى النقاد أن تكون المصطلحات الفضفاضة ("خطاب الكراهية"، "خدش الحياء"، "تضليل الرأي العام") أداة للرقابة الذاتية أو لتقييد الصحافة الاستقصائية ونقد المؤسسات الحكومية. كما يخشى المتشككون من أن تتحول مكاتب المتحدثين الرسميين وهيكلة البيانات إلى "مصفاة مركزية" موحدة، يتم من خلالها حجب المعلومات الحقيقية وتقديم رواية وحيدة وموجهة تحت غطاء تنظيمي رسمي.

ويقول خبراء إن القانون إذا أُحسن تطبيقه، قد يساهم في بناء إعلام مهني مسؤول، وإلا قد يُنظر إليه كعودة جزئية لأساليب السيطرة القديمة.

ويرى المؤيدون أن التطبيق النزيه للقانون سيقضي على ظاهرة "التجهيل الصحفي" والاعتماد على المصادر المجهولة، حيث سيصبح الصحفي قادرا على الوصول إلى الأرقام والوثائق الرسمية بآليات قانونية ملزمة ومستقرة.

ضوابط صارمة

العرب
السبت 2026/06/27
السنة 49 العدد 13846

زيارة روبيو توسّع الهوة بين الخليج وواشنطن

سياسة فرض الأمر الواقع لا تؤسس للاستقرار

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

لم تعد المشكلة بين دول الخليج والولايات المتحدة مرتبطة فقط بالشكوك القديمة حول فعالية المظلة الدفاعية الأميركية، بل أصبحت تتعلق بجوهر الشراكة السياسية نفسها، وذلك بعد ما ظهر من تفاصيل حول الاتفاق الأميركي – الإيراني لم تراع مصالح الخليجيين بشكل واضح وقاطع.

الجولة الخليجية التي قام بها وزير الخارجية الأميركي ماركو روبيو، وكان يفترض أن تبدد المخاوف المرتبطة بالتفاهم الأميركي – الإيراني الأخير، انتهت عمليا إلى نتيجة معاكسة، إذ وسعت مساحة الشكوك بدل أن تقلصها، وكشفت عن فجوة متنامية في فهم الطرفين لأولويات الأمن والاستقرار في المنطقة.

حين قال روبيو خلال اجتماعاته مع المسؤولين الخليجيين إن التطورات الأخيرة وضعت الشراكة الأميركية – الخليجية أمام اختبار مهم، كان يدرك على الأرجح أن الرسائل الأميركية لم تعد تلقى القبول نفسه الذي كانت تحظى به في السابق. فالمسألة لم تعد مرتبطة بنقص التواصل أو سوء الفهم، بل بتباين متزايد في المصالح والتقديرات السياسية.

من وجهة النظر الخليجية، لا يكمن الإشكال في وجود اتفاق أميركي مع إيران بحد ذاته، بل في طبيعة هذا الاتفاق وما تجاهله من ملفات تعتبرها دول الخليج جزءا من أمنها القومي المباشر. فمذكرة التفاهم ركزت على الجوانب المرتبطة بالبرنامج النووي ورفع الضغوط الاقتصادية، لكنها لم تتضمن التزامات واضحة تتعلق بالصواريخ الباليستية أو نشاط الوكلاء الإقليميين، وهما الملفان اللذان يشكلان مصدر التهديد الأساسي لدول الخليج منذ سنوات.

الأكثر إثارة للقلق أن الاتفاق احتوى على صيغ عامة وملتبسة في قضايا حساسة، أبرزها مستقبل الترتيبات الأمنية في الخليج وحرية الملاحة في مضيق هرمز. فبدلا من تقديم ضمانات واضحة وغير قابلة للتأويل، تركت بعض البنود مساحة واسعة لتفسيرات متناقضة، الأمر الذي دفع العواصم الخليجية إلى التساؤل عما إذا كانت واشنطن قد قدمت تنازلات سياسية تتجاوز ما هو معلن، وإلا ما كان الأمر يستدعي زيارة تفسيرية لبنود الاتفاقات ولقاءات ثنائية وجماعية للمسؤول الأميركي في الخليج.

في هذا السياق تكتسب تصريحات أنور قرقاش، المستشار الدبلوماسي لرئيس دولة الإمارات، أهمية خاصة. فعندما يؤكد أن "فرض أمر واقع من رحم العدوان لا يؤسس للاستقرار" وأن هذا ينطبق على مضيق هرمز، فإنه لا يوجه رسالة إلى إيران فقط، بل يوجه أيضا رسالة إلى الأطراف الدولية التي قد تكون مستعدة للتعامل مع نتائج القوة العسكرية باعتبارها حقائق سياسية جديدة.

وتزداد دلالة هذه المواقف إذا وضعت في سياق تصريحات أخرى لقرقاش شدد فيها على أن أي ترتيبات إقليمية جديدة يجب أن تنطلق من حقيقة أن إيران مارست عدوانا مباشرا على دول الخليج، وأن تجاوز هذه الحقيقة أو القفز عليها لا يمكن أن يشكل أساسا لاستقرار دائم. وهي إشارة واضحة إلى أن دول الخليج كانت تنتظر من الاتفاق الأميركي – الإيراني أن يتضمن معالجة مباشرة لهذا السلوك، لا أن يتجاهله أو يؤجله إلى مراحل لاحقة.

من هنا يمكن فهم محدودية تأثير رسائل الطمأنة التي حملها روبيو. فالتأكيد على أن مصالح الحلفاء الخليجيين ستظل في صدارة الاهتمام الأميركي لم يعد كافيا في نظر العواصم الخليجية. المطلوب لم يعد وعودا سياسية أو تطمينات دبلوماسية، بل نصوصا واضحة والتزامات محددة وآليات تنفيذ ملموسة.

المشكلة الأساسية التي واجهت الدبلوماسية الأميركية خلال هذه الجولة هي أنها تتعامل أحيانا مع الخليج بعقلية تنتمي إلى مرحلة سابقة. ففي العقود الماضية كانت التصريحات الأميركية العامة حول الشراكة والأمن المشترك كافية لاحتواء التوترات وطمأنة النفوس. أما اليوم فقد تغيرت المعادلة بصورة جوهرية.

أيكفي أن يصرح روبيو بأن مصالح وأمن حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة سيظلان في صدارة الاهتمام خلال المفاوضات مع إيران. تريد واشنطن أن تضع النقاط على الحروف، لكن أي حروف وأي نقاط، هل المقصود تفسير الاتفاق بما ليس في ظاهره، أي تأويل نوايا واشنطن خلال المصادقة على الاتفاق وليس ما هو مكتوب، الذي يصب في صالح إيران. المشكلة الأساسية التي واجهها روبيو في جولته أن دول الخليج تغيرت، لم يعد يفيد بأن تتم ترضيتها بتصريحات فضفاضة عن الشراكة والأمن المشترك.

> **الإشكال لا يكمن في وجود اتفاق أميركي مع إيران بحد ذاته بل في طبيعة هذا الاتفاق وما تجاهله من ملفات تعتبرها دول الخليج جزءا من أمنها القومي المباشر**

فالخليج بعد عام 2020 ليس هو الخليج الذي سبقه. فقد أدت هجمات الحوثيين على المنشآت النفطية، وما رافقها من رد أميركي اعتبره كثيرون أقل من مستوى الالتزامات الأمنية المعلنة، إلى إحداث تحول عميق في التفكير الاستراتيجي الخليجي. وأصبحت دول المنطقة أكثر ميلا إلى تنويع شراكاتها الدفاعية والسياسية والاقتصادية بدلا من الاعتماد شبه الكامل على الولايات المتحدة.

ولذلك لم تعد دول الخليج تنظر إلى واشنطن باعتبارها الضامن الوحيد لأمنها، بل باعتبارها شريكا ضمن شبكة أوسع من العلاقات الدولية. وهذا التحول يفسر سبب تراجع فاعلية الخطاب الأميركي التقليدي القائم على التذكير بالشراكة التاريخية والمصالح المشتركة، وهو أمر مفهوم، فهو خطاب دعائي يهدف إلى احتواء الغضب الخليجي وليس إلى بناء الثقة وتعميق الشراكة القائمة على تبادل المصالح.

كما أن الاتفاق الأميركي – الإيراني أعاد إلى الواجهة سؤالا أكثر حساسية يتعلق بآليات الحوار التي جرت في إسلام آباد ثم زوريخ، حوار عن أمن الخليج يستثنى منه الخليج وكأنه هامش وليس أصلا ومركزا. فالحرب جرت في فضاء جغرافي وأمني يخص دول الخليج بصورة مباشرة، سواء من خلال المجال البحري أو الجوي أو من خلال التهديدات التي طالت البنية التحتية الحيوية. ومع ذلك لم تكن هذه الدول طرفا مباشرا في المفاوضات، ولم تشارك في صياغة التفاهمات النهائية.

وبالنتيجة، فإن الاتفاق الأميركي – الإيراني غير ملزم للخليجيين، لأنهم لم يستشاروا فيه، لم يحضروا الجلسات، وكان الأحرى أن يكونوا طرفا رئيسيا فيه.

ومن هنا ينبع شعور خليجي متزايد بأن الاتفاق يفرض ترتيبات جديدة في محيطهم الاستراتيجي من دون أن يكونوا شركاء فعليين في رسمها. ويزداد هذا الشعور قوة مع الحديث عن مشاريع لإعادة إعمار إيران أو إنشاء آليات تمويل واستثمار مرتبطة بمرحلة ما بعد الاتفاق، في وقت أكد فيه روبيو نفسه أن هذه الأفكار لم تناقش مع دول الخليج.

وفي المقابل تبدو المخاوف الخليجية أكثر ارتباطا بما قد يحدث بعد رفع القيود الاقتصادية عن إيران. فالأموال التي ستعود إلى طهران يمكن أن تستخدم لتعزيز قدراتها الصاروخية أو لإعادة تنشيط شبكاتها الإقليمية في العراق واليمن وساحات أخرى، خاصة أن الاتفاق لم يفرض قيودا مباشرة على هذه الملفات.

لهذا السبب لا تبدو الأزمة الحالية مجرد خلاف عابر حول تفاصيل اتفاق معين، بل تعبيرا عن تحول أعمق في طبيعة العلاقة بين الخليج والولايات المتحدة. فبينما لا تزال واشنطن تنظر إلى المنطقة من زاوية إدارة التوازنات الكبرى مع إيران، تنظر دول الخليج إلى أمنها القومي من زاوية التهديدات المباشرة التي واجهتها خلال العقدين الأخيرين.

والنتيجة أن زيارة روبيو التي جاءت بهدف ترميم الثقة كشفت في الواقع أن الخلاف لم يعد حول وسائل الحماية فقط، بل حول تعريف التهديد نفسه وأولويات التعامل معه. وهذه ربما تكون المرة الأولى التي تنتقل فيها الشكوك الخليجية من مستوى التساؤل حول المظلة الدفاعية الأميركية إلى مستوى أعمق يتعلق بمدى تمثيل واشنطن للمصالح الخليجية داخل التفاهمات الإقليمية التي تصوغ مستقبل المنطقة، وهل أن واشنطن حليف استراتيجي أم شريك ينتظر الاستثمارات والاتفاقيات التي تخدم صالحه هو فقط.

وفي حال لم تستوعب الإدارة الأميركية هذا التحول، فإن الفجوة مرشحة للاتساع أكثر. فدول الخليج لم تعد تقبل أن تكون مجرد متلقية لنتائج التفاهمات الدولية، بل أصبحت تطالب بأن تكون شريكا كاملا في صناعتها. وبين الشراكة التي تتحدث عنها واشنطن والشراكة التي يطالب بها الخليج تتسع اليوم هوة سياسية قد تكون أخطر من أي خلاف أمني سبقها.

عُمان ومضيق هرمز... والقرار الحاسم

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

يقع مضيق هرمز بين عُمان وإيران، ويُعتبر نقطة ارتكاز وعبور لمصالح الكثير من القوى الإقليمية والدولية، وتختلف أهميته بحسب النظرة الجيوسياسية والجيواستراتيجية إليه من قبل تلك الدول، حيث يُعد الحد الشرقي للوطن العربي والمجال الحيوي للاستيراد والتصدير والمنفذ الوحيد للخليج العربي. وإذا كان المضيق يُمثّل بالنسبة لإيران حدودها الجنوبية وخاصرتها الأمنية والاقتصادية، فإن سلطنة عُمان سبق لها أن أكدت في مناسبات عدة أنه يقع على عاتقها الإشراف المستمر عليه من منطلق سيادتها الوطنية ومسؤوليتها الدولية للتأكد من سلامة الملاحة وضمان حركة المرور الآمن للسفن العابرة. لذلك كانت تدعو كافة الأطراف إلى عدم التصعيد واللجوء إلى الحلول الدبلوماسية في حل الخلافات.

> **الفرادة العُمانية تقوم على استقلالية القرار ورفض الانصهار في مشاريع جيوسياسية ما يجعلها وسيطا موثوقا قادرا على إدارة الأزمات بحكمة وهدوء**

ورغم كل الضغوط التي واجهتها، فإن السلطنة سعت إلى تلافي أي خلافات حادة مع شركائها الإقليميين لضمان حلحلة الأزمة التي شهدتها المنطقة خلال الأشهر الماضية دون تشكيل أي مخاطر تُذكر على التوازنات الجيوسياسية والجيواستراتيجية، أو إرباك جهود الحل التي يعمل على بذلها الوسطاء الإقليميون والدوليون. قبل أيام، قالت سلطنة عُمان إنه انطلاقًا من مسؤوليتها تجاه مضيق هرمز وأهميته للاقتصاد العالمي، ووفقًا لالتزامها الثابت بالقانون الدولي وقانون البحار بما يضمن حرية الملاحة في المضيق دون فرض رسوم عبور، وبما يتماشى مع نتائج الجهود والمساعي التي توصلت إليها الولايات المتحدة الأميركية وإيران، فإنها بالتنسيق مع المنظمة البحرية الدولية ستتيح خيار استخدام ممر بحري مؤقت لجميع السفن وفق الإحداثيات التي أعلنتها المنظمة البحرية الدولية والسلطات العُمانية المختصة، على أن تقوم السفن الراغبة بالعبور بالتنسيق مع المنظمة البحرية الدولية.

المنظمة البحرية الدولية (IMO) التابعة للأمم المتحدة تستعد بدورها لإجلاء أكثر من 11 ألف بحّار تقطعت بهم السبل في الخليج بسبب الحرب الأميركية – الإسرائيلية ضد إيران. وقال الأمين العام للمنظمة، أرسينيو دومينغيز، إن هذه "العملية واسعة النطاق" ستُنفذ بالتعاون مع إيران وسلطنة عُمان والولايات المتحدة ودول ساحلية أخرى في المنطقة، بالإضافة إلى قطاع النقل البحري. وأضاف "حصلنا على ضمانات السلامة اللازمة، وتحققنا بدقة من شروط الملاحة الآمنة لدعم هذه العمليات"، معتبرًا أن الاتفاق الذي يهدف إلى مساعدتهم يُمثل "خطوة حاسمة نحو استعادة الأمن البحري وإنهاء الهجمات غير المقبولة على الملاحة المدنية".

هذه الخطوة المهمة المتمثلة في القرار الحاسم بخصوص المضيق، سبقتها خطوات تصب في ذات الاتجاه؛ فقد اتفقت سلطنة عُمان وإيران على مواصلة المحادثات بشأن إدارة حركة الملاحة في مضيق هرمز مستقبلًا، بما يشمل الخدمات الملاحية في الممر البحري الاستراتيجي والتكاليف المرتبطة بالخدمات. وأعلنت الدولتان في بيان مشترك صدر عقب محادثات في العاصمة العُمانية مسقط، تشكيل فريق عمل مشترك يضم وزارتي الخارجية في كل منهما لمواصلة المناقشات، وأنهما ستتشاوران مع الدول الساحلية الأخرى والأطراف المعنية.

وعقب زيارة رئيس البرلمان الإيراني محمد باقر قاليباف ووزير الخارجية عباس عراقجي إلى عُمان، حيث التقيا بالسلطان هيثم بن طارق وأجريا محادثات مع وزير الخارجية بدر بن حمد البوسعيدي، أكدت الدولتان المتشاطئتان على مضيق هرمز التزامهما بضمان المرور الآمن عبر الممر البحري بما يتفق مع القانون الدولي، مع التأكيد على سيادتهما على مياههما الإقليمية.

ما يمكن الخروج به من استنتاجات من هذه الخطوة: أولًا، أن مبادرة سلطنة عُمان بالسماح

> **مبادرة عُمان بالسماح بالعبور دون رسوم تؤكد التزامها بالقانون الدولي وتجسد دورها المحوري في حماية الملاحة ودعم الاستقرار الإقليمي بعيدا عن التصعيد**

للسفن بالعبور في مضيق هرمز دون فرض رسوم عبور، تأتي انطلاقًا من التزامها الإقليمي والدولي والإنساني، ومن دورها كدولة داعمة للشرعية الدولية، ومدافعة بقوة عن القانون الدولي والعلاقات الصحية بين الدول، ومن قدرتها على استيعاب تطورات المرحلة والتعامل مع تفاصيلها من دون التورط في الأزمات أو التنصل من واجباتها أو التخلي عن ثوابتها المبدئية كدولة محورية في المنطقة. ثانيًا، أن خارطة الأحداث والتحولات لا تزال تُثبت أن سلطنة عُمان، ورغم عملها الدائم على توحيد المواقف وتوثيق عُرى التعاون والتكامل والشراكة سواء في مجلس التعاون لدول الخليج العربية أو في الجامعة العربية أو غيرها من التجمعات الإقليمية والدولية، إلا أنها اعتادت على تأمين مجالات العمل في إطار استقلالية توجهاتها ورفضها الانصهار في أي مشروع جيوسياسي أو جيواستراتيجي لا ينسجم مع خصوصيات هويتها الحضارية العريقة وعقيدتها السياسية والثقافية التي تشكلت ملامحها من أثر التاريخ وبصمات الجغرافيا والسمت الاجتماعي، وما يمكن أن نصفه بالفرادة العُمانية في قراءة الوقائع والتعامل مع المستجدات من خارج دائرة الاندفاع العاطفي والتشنج والمراهنة على القوى الأجنبية التي لن تهتم في الأخير إلا بتحقيق مصالحها وخدمة أجنداتها.

لقد كان وزير الخارجية العُماني بدر بن حمد البوسعيدي واضحًا خلال مشاركته في الاجتماع الوزاري المشترك بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والولايات المتحدة، الذي عُقد الخميس في مملكة البحرين، عندما أكد أهمية استعادة حرية الملاحة عبر مضيق هرمز وضمان انسيابها الآمن، وأوضح أن بلاده بوصفها دولة مشاطئة للمضيق تضطلع بمسؤولية خاصة في دعم الجهود الدولية الرامية إلى تأمين الملاحة البحرية، وفقا لمسؤولياتها والتزاماتها بموجب القانون الدولي واتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، مشددًا على ضرورة احترام مبادئ القانون الدولي وسيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، بما يعزز فرص الأمن والاستقرار والتعايش السلمي وحسن الجوار، ويصون مصالح شعوب المنطقة. وذلك ديدن السلطنة، ودأبها الذي تحوّل عبر محطات التاريخ وصيرورة الزمن إلى عقيدة سياسية ودبلوماسية وثقافية غير قابلة للانفصال عن شروطها القيمية والأخلاقية التي يرتكز عليها السمت العُماني العريق.

فرادة عُمانية في قراءة الوقائع

العرب
السبت 2026/06/27
السنة 49 العدد 13846

العالم العربي في مختبرات النهضة والأفول - اليمن نموذجا

د. محمد الميتمي
سفير اليمن في الصين

يشهد العالم العربي، منذ انكسار الحقبة الاستعمارية وما أعقبها من ولادة دول وطنية هشة، سيولة تاريخية عميقة لا تكف عن إعادة تشكيل الخرائط والمعاني وموازين القوة. في القرن الواحد والعشرين لم تعد الحدود وحدها موضوعاً للتعديل، بل صارت الدولة ذاتها ـ بوصفها فكرة ومؤسسة وعقدا اجتماعيا ـ موضع اختبار قاسٍ في مختبرات "الفوضى الخلاقة". مع نهاية الحرب الباردة ثم عودة التنافس الدولي بأشكال أكثر خشونة وحِدّة، دخل العالم العربي طوراً جديداً من الاضطراب؛ طوراً تتداخل فيه إرادات الداخل مع حسابات الخارج، وتتصارع فيه مشاريع البناء مع غرائز التفكيك. في هذا المشهد، تتجاور دول عربية تسعى إلى النهوض عبر تحديث مؤسساتها وإعادة تعريف موقعها في العالم، مع دول تتآكل ببطء حتى تكاد تتحول إلى خرائط ممزقة في أذهان الآخرين. وبين هذين المسارين يقف اليمن بوصفه أحد أكثر النماذج مأساوية وكشفاً لحقيقة اللحظة العربية الراهنة، والمؤامرات الخارجية.

يبدو اليمن ساحة مكثفة لاختبار سؤال الدولة في العالم العربي: لماذا تنهض دول، بينما تأفل أخرى داخل الإقليم نفسه وتحت الشروط والمعادلات الدولية ذاتها؟ لم تعد معادلة القوة والضعف تُقاس بالثروة وحدها، ولا بالموقع الجغرافي، ولا حتى بامتلاك القوة العسكرية، بل بمزيج أعقد: صلابة المؤسسات، وشرعية الحكم، والقدرة على إدارة التنوع، وكفاءة الاقتصاد، وحيوية المجتمع، ثم قدرة الدولة على قراءة التحولات العالمية من دون أن تصبح مجرد مستمع وتابع لها. كما لا يمكن تجاهل المقاربة الجيوسياسية للقوى الكبرى، إذ كثيراً ما تحولت الدول الضعيفة إلى ساحات نفوذ لا إلى فاعلين مستقلين. هنا يصبح اليمن مرآة كاشفة لا لحاله الرديء فقط، بل لخلل عربي أوسع في معنى السيادة وبنية السلطة وشروط النهوض.

لم يكن اليمن، منذ مطلع القرن العشرين، دولة قوية بالمعنى المؤسسي الصارم، لكنه كان دولة قابلة للحياة مثله مثل كثير من دول المنطقة في ذلك الزمن. غير أن هذه القابلية أخذت تتآكل حين أُديرت السياسة بوصفها توازناً بين قوى متنازعة لا عقداً للمواطنة، وحين تقدمت العصبيات الضيقة على فكرة الدولة الجامعة. ومع انقلاب الحادي والعشرين من سبتمبر 2014 لم يقع مجرد تحول في السلطة، بل انكسرت القاعدة المؤسسة لأي دولة حديثة: احتكار العنف الشرعي. ومنذ تلك اللحظة أخذ الأفول اليمني شكلاً أكثر انحداراً؛ إذ لم تعد الأزمة أزمة حكومة أو نظام، بل أزمة معنى الدولة نفسها.

اليمن ساحة مكثفة لاختبار سؤال الدولة في العالم العربي: لماذا تنهض دول بينما تأفل أخرى داخل الإقليم نفسه وتحت الشروط والمعادلات الدولية ذاتها؟

ليست الحرب في اليمن وحدها هي المأساة الكبرى؛ فالحروب قد تنتهي، والدول قد تنهض من ركامها إذا بقيت لديها ذاكرة جامعة ومؤسسات قابلة للترميم. المأساة الأعمق أن الدولة اليمنية تحولت إلى سؤال مفتوح: من يملك القرار؟ ومن يحتكر السلاح؟ ومن يمثل الشعب؟ ومن يصوغ المستقبل؟ هناك دول تُهزم ثم تستعيد توازنها، ودول تتعثر ثم تصلح مسارها، لكن الأخطر أن يكثر المتحدثون باسم الشعب اليمني برايات وعناوين مختلفة، وأن تأفل الدولة بهدوء، بلا لحظة سقوط مدوية، وبلا جنازة رسمية. وهذا ما يجعل اليمن أكثر من بلد منكوب؛ يجعله إنذارا مبكرا لما يحدث حين تفشل السياسة في أن تكون فناً للبناء، وتتحول إلى تقنية للهدم وإدارة الخراب.

في اليمن لم تعد الميليشيا المدعومة من الخارج عارضا طارئا في جسد الدولة، بل صارت بنية موازية ومنافسة، بل بديلة في بعض المناطق. كما لم يعد السلاح أداة في يد السياسة، بل غدت السياسة ظلاً للسلاح. عند هذه العتبة تتبدل وظائف الدولة: تتحول الشرعية إلى رمزية بلا قدرة، والمؤسسات إلى واجهات بلا سلطة، والاقتصاد إلى شبكات ريعية تتغذى على استمرار النزاع. حينئذ يصبح السلام ذاته تهديداً لمصالح تشكلت في زمن الحرب، ويغدو الخراب مورداً لمن لا يستطيعون العيش إلا داخل الفوضى. هنا تتجلى إحدى أخطر ديناميات الأفول في اليمن: حين يصبح استمرار الأزمة أكثر ربحا لبعض القوى السياسية والنخب المحلية من إنهائها.

وحين نتحدث عن الدول الناهضة والدول الآفلة، فإننا لا نقصد بالنهوض نمواً اقتصادياً، ولا بالأفول ركوداً، بل نتحدث عن مسارات تاريخية طويلة. الدولة الناهضة هي تلك القادرة على تحويل مواردها الاقتصادية والبشرية والثقافية والرمزية إلى قوة مؤسسية مستدامة، وعلى إنتاج شرعية داخلية، وصياغة رؤية مستقبلية قابلة للتنفيذ. أما الدولة الآفلة فهي التي تعجز عن إدارة تناقضاتها، وتستنزف مواردها في صراعات صفرية، وتتحول تدريجياً إلى ساحة نفوذ لقوى مسلحة في الداخل وأطراف طامعة في الخارج. الفرق بين النمو والانهيار ليس في وفرة الإمكانات، بل في طريقة إدارتها وفي وجود مشروع وطني جامع يضع الدولة فوق الجماعة، والقانون فوق الغلبة، والمصلحة العامة فوق الغنيمة.

رغم اختلاف التجارب العربية، يمكن تمييز مقومات مشتركة في الدول التي أظهرت مؤشرات نهوض كالسعودية ودولة الإمارات الشقيقتين على سبيل المثال. يبدأ النهوض حين تتقدم المؤسسات على الأشخاص، وحين تُدار الدولة بمنطق القواعد لا بمنطق الولاءات المغلقة. تلك الدول استثمرت في تحديث جهازها الإداري، وإصلاح التعليم، وتعزيز كفاءة القضاء، وتوسيع قاعدة المشاركة الاقتصادية والاجتماعية، فاستطاعت أن تبني قدراً من الاستقرار الوظيفي والسياسي. الشرعية لا تُستمد فقط من التاريخ وحده، ولا من الجغرافيا، ولا من العلم المرفرف من على السارية، بل من القدرة على الإنجاز وتقديم الخدمات وفتح أفق المستقبل أمام الأجيال الجديدة. في هذا السياق تبرز تجربة المملكة العربية السعودية بوصفها نموذجا عربيا لافتا في الانتقال من ثقل الأيديولوجيا إلى منطق التنمية، ومن الانكفاء إلى إعادة التموضع في شبكة المصالح الدولية. فقد أحدثت التحولات التي قادها ولي العهد الأمير محمد بن سلمان نقلة اجتماعية واقتصادية وثقافية عميقة وواسعة، نقلت المملكة إلى طور جديد من الثقة بالذات والقدرة على التأثير الإقليمي والدولي.

في المقابل، تتشابه مسارات الدول الآفلة في ديناميات مدمرة: تفكك احتكار الدولة للعنف، تعاظم أزمة الشرعية، وانهيار الثقة بين المجتمع والسلطة. واليمن اليوم أحد أبرز النماذج لهذا المسار. فقد فقدت الدولة سيطرتها على السلاح، وتكاثرت فيها الهويات والميليشيات المسلحة، المناطقية منها والسلالية والمذهبية، وغدت السياسة امتداداً للحرب لا طريقاً للخروج منها. ومع طول أمد الصراع، تحولت بعض البنى الاجتماعية والسياسية إلى شبكات بقاء تتغذى من اقتصاد الحرب، بينما أصبح القرار الوطني مكشوفاً أمام التدخلات الإقليمية والدولية. إن أخطر ما يحدث في مثل هذه الحالات ليس فقط أن تضعف الدولة، بل أن تُفرغ من معناها، فتغدو واجهة بلا إرادة، ونخباً بلا مشروع، ومجتمعاً يفاوض على مستقبله الآخرون، كما تفعل إيران اليوم نيابة عن بعض دول وشعوب المنطقة العربية.

غير أن الانهيار اليمني لا يقف عند حدود المؤسسات. فالحروب لا تهدم المدن وحدها، بل تعيد تشكيل النفوس والروابط والمعاني. إنها تضعف الثقة، وتوسع الشروخ، وتحول الاختلاف السياسي إلى عداوة وجودية. وحين يتآكل رأس المال الاجتماعي، ويعجز الناس عن تخيل أنفسهم جماعة سياسية واحدة، يصبح الحديث عن الدولة أشبه بحلم يقظة. لذلك فإن إعادة بناء اليمن لا تبدأ من إعادة إعمار تلك المدن المهدّمة، بل من الإنسان أولا: من استعادة الثقة، وتجديد العقد الاجتماعي، وبناء سردية وطنية تتسع للتنوع من غير أن تسمح له بأن يتحول إلى مشروع تفكيك.

لم يكن اليمن منذ مطلع القرن العشرين دولة قوية بالمعنى المؤسسي الصارم لكنه كان دولة قابلة للحياة مثله مثل كثير من دول المنطقة في ذلك الزمن

بالرغم من كل ما قِيل وكُتب من تشاؤم وقنوط بشأن اليمن، فإن هذا البلد الذي وصفه الرومان بـ"البلد المبارك" ليس قدرا مغلقا على السقوط. إنه ما زال ينبض بالحياة، ولا يزال يراوح في منطقة رمادية تتصارع فيها احتمالات الأفول مع إمكانات النهوض، التي تحتاج بنية الميليشيات، استعادة احتكار الدولة للعنف، بناء مؤسسات قانونية وإطلاق مصالحة وطنية تقوم على الحقيقة والعدالة والصهر الاجتماعي. كما أن الدور الإقليمي، وفي مقدمته دور المملكة العربية السعودية الشقيقة، يظل حاسماً إذا ارتبط برؤية وبرنامج، كما هو معلن، يجعل استقرار اليمن وسيادته جزءاً من أمن الإقليم ونهضته. إن النهوض اليمني، إن كُتب له أن يحدث بسواعد أبنائه ودعم أشقائه، لن يكون ثمرة تسوية شكلية ولا إعمار مبان هدمتها الحرب، بل مشروع إعادة تأسيس شامل: دولة قانون، ومواطنة متساوية، وشرعية تمثيلية، واقتصاد سلام، ووعيا سياسيا يحرر اليمن من منطق الساحات و"المليونيات الزائفة" والفوضى إلى منطق الدولة. عندئذ فقط يمكن لليمن أن يغادر تخوم الأفول، نحو النهضة وبناء الدولة اليمنية المستقلة، المستقرة والمزدهرة.

اليمن أكثر من بلد منكوب

العقوبات الأميركية على فرنجية، حرب مستمرة على المحور

د.جيرار ديب
كاتب ومحلل سياسي لبناني

أعلنت الحكومة الأميركية، يوم الخميس 18 حزيران/يونيو الجاري، فرض حزمة جديدة من العقوبات استهدفت مسؤولين لبنانيين، وشركات مرتبطة برجل الأعمال علاء حسن حمية، الذي يخضع بدوره لعقوبات أميركية سابقة. وبررت واشنطن هذا الإجراء بزعم وجود أدلة على تورط هؤلاء في "عرقلة مسار السلام في لبنان"، والعمل على تعطيل الجهود الرامية إلى نزع سلاح حزب الله.

لن يتفاجأ الحزب من حزمة العقوبات الجديدة، على اعتبار أن الخزانة الأميركية لم توفر في عقوباتها كل من يدور في فلك الحزب، محاربًا كان أم مؤيدًا أم حتى داعمًا. لكنّ مفاجأة الحزمة توقفت عند فرض العقوبات على زعيم ماروني ليس بسبب ملفات الفساد بل لعلاقته مع الحزب. إذ علّق أمين عام الحزب، الشيخ نعيم قاسم، على إدراج فرنجية، قائلا "وضعوك على لائحة العقوبات لأنك أحد أقطاب الشرف في لبنان".

هذا وفرضت الخزانة الأميركية عقوبات على سليمان أنطوان فرنجية، زعيم تيار المردة اللبناني، وذكرت الخزانة أنه تلقى دعمًا ماليًا من حزب الله مقابل مساعدة الجماعة في استهداف المقاعد البرلمانية التي يشغلها نواب إصلاحيون ومستقلون في الانتخابات النيابية اللبنانية. يحق للخزانة تبرير ما تشاء لعقوباتها على هذه الشخصية التي تجسد جزءًا من الطبقة السياسية في لبنان أبًا عن جدّ، إذ لم يأتِ التبرير ضمن فقرة مكافحة الفساد كما فعلت مع الوزير السابق جبران باسيل، بل ضمن فقرة التعاون مع حزب الله. وسط هذا التصعيد العقابي على زعماء لبنان الموارنة تحديدًا، يتساءل البعض: هل فعلًا تحمل هذه العقوبات أبعادًا أبعد من موضوع المواقف أو الفساد؟

"نربح مع المقاومة، أو نخسر بشرف"، تصريح لافت لفرنجية يؤكد على تحديد خطه السياسي إلى جانب حزب الله ومحوره المرتبط بإيران. إذ اعتبر فرنجية في حديث لإحدى الصحف المحلية أن لبنان لم يكن يومًا بمنأى عن الحرب الدائرة في المنطقة، معتبرًا أن التطورات الأخيرة أكدت ترابط محاور الصراع وتأثيرها المباشر على الداخل اللبناني.

العقوبات الأميركية على فرنجية تكشف تصعيدا جديدا ضد محور حزب الله، وتؤكد أن واشنطن توسع دائرة الاستهداف لتشمل زعماء مسيحيين مرتبطين بالحزب سياسيا

إن التموضع الواضح لزعيم المردة يُعتبر تجاوزًا لخطوط أميركا الحمراء، في الوقت الذي تمارس واشنطن المزيد من الضغط على الحزب لتسليم سلاحه، ولفصل مساري التفاوض الأميركي – الإيراني عن الإسرائيلي – اللبناني. لقد أدخلت إدارة ترامب، على ما يبدو، لبنان ضمن حيّز الاهتمام لسياساتها الخارجية، وقد تجلى ذلك في قمة السبع التي انعقدت في فرنسا، حيث اعتبر الرئيس الأميركي دونالد ترامب أن القضية اللبنانية يجب أن تُحل على الطريقة الأميركية.

جعل فرنجية نفسه رأس حربة في معركة حزب الله لإسقاط حكومة نواف سلام، على اعتبار أنها حملت على عاتقها تنفيذ الأجندة الأميركية في ما يتعلق بقرار 5 و7 آب/أغسطس الماضي بشأن نزع سلاح الحزب. هذا ما يتعارض حتمًا مع الأهداف الرئيسية للولايات المتحدة، لهذا سارعت الخزانة الأميركية إلى حماية مشروعها من خلال منع وصول شخصية ذات انتماء أو ارتباط مع حزب الله إلى سدة الرئاسة الجمهورية في لبنان، فكانت العقوبات على الوزير فرنجية.

لا يحتاج المتابع إلى الكثير من الجهد كي يتأكد أن الانقسام بات عاموديًا بين فرقاء الداخل، وأن لبنان وقع أسير التجاذب الأميركي – الإيراني. ففي الوقت الذي يصرّ الفريق المفاوض الإيراني على ربط لبنان بملف مفاوضاته في إسلام آباد، يعمل الأميركي على تطويقه عبر تقييد الأذرع وعلى رأسها حزب الله في لبنان.

لا نقاش أن الآلة الحربية توقفت بين الأميركي والإيراني، وشمل ذلك الجبهة اللبنانية من خلال ضبط أميركي لحكومة بنيامين نتنياهو. لكنّ الحرب اليوم بينهما تأخذ أشكالًا مختلفة، وما العقوبات إلا تأكيد على ذلك. لهذا وسّعت واشنطن دائرة المستهدفين، وفرنجية مثال على ذلك. هذا ما يؤكد أن الأميركي يعمل على حصر اتفاقاته مع إيران في هرمز وبرنامجها النووي، أما في المنطقة فلم تزل معركة النفوذ قائمة، رغم دخول قوة عربية وإقليمية جديدة على خط التسويات كما الأزمات.

تموضع يتجاوز خطوط أميركا الحمراء

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
السبت 2026/06/27
السنة 49 العدد 13846

حين تُترك الذاكرة في العراء... من يحمي آثار ليبيا؟

من جدارية البردية إلى قورينا ولبدة، دعوة لإحياء التراث وحمايته للأجيال القادمة

الثقافة حين تُترك في العراء

تختزن البلدان ذاكرتها في آثارها ومبانيها التاريخية بقدر ما تختزنها في الكتب والروايات. غير أن هذه الذاكرة تصبح مهددة حين يغيب الوعي بأهميتها، فتتحول الشواهد الحضارية إلى ضحية للإهمال والنسيان. نتأمل هنا علاقة المجتمع بإرثه الثقافي، سعيا إلى تحويل حماية الآثار من مبادرات موسمية إلى مشروع وطني دائم.

رزان نعيم المغربي
كاتبة وروائية وصحافية ليبية

حين بدأتُ، قبل سنوات، أجمع المعلومات عن جدارية البردية، كنتُ أبحث عن حكاية. جندي بريطاني شاب، اسمه جون فريدريك بريل، وجد نفسه في أقصى شرق ليبيا، في منطقة شبه معزولة، قريبة من الحدود المصرية، فوق جرف يطل على البحر، وسط حرب كبرى كانت تلتهم العالم.

وهناك، في مبنى تاريخي عرف صراع قوات المحور والحلفاء في الحرب العالمية الثانية، ترك على الجدار أثره الخاص: جدارية كبيرة ما زالت، رغم كل ما حدث لها، قائمة إلى يومنا هذا.

الاهتمام بالآثار

ذلك المبنى، بموقعه المطل على الشاطئ، ما زال شاهدًا على زمن شديد الحساسية. وبعد انتهاء الحرب، دخل في زمن آخر: زمن الإهمال الطويل. وأثناء بحثي عن تاريخ الجدارية، اكتشفت أن بعثة ترميم إيطالية وصلت إلى تلك المنطقة في مطلع الألفية لتتعامل مع أثر تُرك وحيدًا في مواجهة الغبار، والرطوبة، والعبث، والنسيان. قرأت عن الشقوق التي أصابت الجدار، وعن محاولات تنظيفه وترميم بعض أجزائه، لكن ما ظل عالقًا في ذهني هو السؤال: كيف يصل أثر بهذه القيمة إلى مرحلة يحتاج فيها إلى من يذكّرنا به؟

> اليوم نحتاج إلى مؤسسات وبلديات تعتني بكل معلم وأثر كما نحتاج إلى مشاريع فنية تبرزه كالمهرجانات والاحتفالات

يُقال إن الجدارية، في فترة من الفترات، كانت متاحة لعبث الأطفال، وإن أحد أبناء المنطقة طالب مسؤولًا بالاهتمام بالمبنى وحمايته، فكان رده صادما: "ضعوا حجرتين ليصعد الناس إلى المبنى"، ثم مضى. ربما تبدو الحكاية بسيطة، لكنها تلخص علاقة طويلة بالذاكرة؛ عندما يصبح الأثر مجرد جدران، وقليل من الخشونة والشخبطة.

تذكرت هذه القصة اليوم وأنا أقرأ خبرًا عن بعثة ترميم جديدة في شحات، مدعومة من السفارة الأميركية، ضمن جهود تنظيف وترميم معبد ديميتر في قورينا، بعد الأضرار التي خلّفها إعصار دانيال. هذا الخبر يحمل الكثير من الامتنان؛ فكل بعثة دولية تأتي لمساندتنا تستحق التحية والشكر، لأن هذه الآثار، في النهاية، تراث عالمي، وملك للإنسانية جمعاء، ونحن نريد لهذه الثقافة أن تنتشر وتصبح لغة تواصل عابرة للحدود. لكن هذا يضعنا، في الوقت نفسه، أمام مسؤوليتنا الوطنية في ملاقاة هذه الجهود، وسدّ الفراغ عبر بناء ركائز حماية مستدامة تنبع من الداخل.

هنا أود الإشارة إلى تجربة وطنية مضيئة تُثبت أن البديل ممكن وعملي؛ تجربة "جهاز إدارة حماية المدينة القديمة". بجهود خبرات وطنية متنوعة، امتزج فيها الجانب المؤسسي بالروح التطوعية المخلصة، تحول هذا الفضاء من مكان شبه مهجور لا يؤمه إلا من له عمل فيه، إلى حاضنة سياحية واستثمارية رفيعة الطراز.

شمل العمل ترميم الآثار، وإصلاح الطرقات، وإحياء البيوت، مما شجع الاستثمار الخاص على العودة وضخ الحياة في عروق المدينة. هذا النموذج الملهم يجسد تمامًا ما نحتاجه: إدارة محلية واعية قادرة على تحويل الذاكرة من ركام منسي إلى مشروع حياة مستدام.

هذا النجاح المحلي هو ما نتمناه لكل مواقعنا الأخرى. فالأشرطة المرئية التي ينشرها مواطنون وهواة من صبراتة، وقورينا، ولبدة، وأماكن مختلفة، تُظهر تماثيل يعلوها الغبار، وقطع فسيفساء نادرة في غرف غير محمية. في أحد المقاطع، تظهر لوحة فسيفساء لامرأة بألوان براقة، دون أي معلومة موثقة حولها، وفي مقطع آخر، غرف مفتوحة، وتحت أسقف مهددة بالرطوبة، توجد تماثيل قيّمة. كل شيء في المشهد يقول إن الذاكرة تحتاج منا إلى التفاتة حقيقية للمحافظة عليها.

الإحساس بالانتماء

ليبيا، بمساحتها الشاسعة، ليست بلد نفط أو حروب فقط؛ ليبيا خزان أثري مفتوح. من جبال أكاكوس ورسومات الإنسان القديم، إلى غدامس بذاكرتها الصحراوية، إلى صبراتة ولبدة وقورينا، وصولًا إلى الأسواق والمباني العثمانية والإيطالية. نحن أمام طبقات من الزمن والحضارات.

> حالة بعض الآثار التاريخية تلخص علاقة طويلة بالذاكرة؛ عندما يصبح الأثر مجرد جدران، وقليل من الخشونة والشخبطة

ولعل هذا ما دفع اليونسكو إلى وضع مواقع ليبية كبرى على قائمة التراث العالمي المعرّض للخطر؛ وهي إشارة دولية واضحة إلى أن الحفاظ على هذه الشواهد يمثل الحفاظ على صورة ليبيا الممكنة: ليبيا الفن، والحجر المنحوت، والتماثيل التي قد تتعرض للسرقة إن لم نلتفت إليها.

أفكر في جدارية البردية مرة أخرى؛ ربما لأنها دخلت روايتي "الرسام الإنجليزي" من باب الحكاية. صارت رمزًا لبلد يملك ذاكرة هائلة، لكنه يتركها أحيانًا في العراء. كل أثر مهمل يشبه تلك الجدارية، بطريقة ما: نجا من الحرب، ثم صار مهددًا بالسلم المهمل واللامبالاة.

الجميل فيما رأيته من مقاطع فيديو لشباب هواة، أن الدافع وراءها هو الإحساس بالانتماء إلى البلاد، وحب إبراز أن لليبيا هوية ذات تاريخ ممتد. ورغم أنهم لم ينالوا تأهيلًا أكاديميًا في الآثار أو السياحة، فإنهم يسترشدون بشغفهم ووعيهم بأن الوقت قد حان لتستقبل بلادنا الزوار والسياح.

نحتاج اليوم إلى مؤسسات وبلديات تعتني بكل معلم وأثر، وإلى مشاريع فنية تبرزه، كالمهرجانات والاحتفالات، وإلى دعوة ضيوف ليبيا لمشاهدته والكتابة عنه، بما يسهم في نشر ثقافتنا الإنسانية الغنية أمام العالم.

الطباق الثقافي وسؤال الآخر: نحو إعادة قراءة المركزيات والهويات

علي حسن الفواز
كاتب عراقي

يبدو أن النظر إلى تعقيدات استعمال المصطلحات والمفاهيم يدخل في سياق ترسيم العلاقة مع الآخر، كمفهوم ووجود، ومع أنماط الخطابات التي أُنتجت تاريخيًا عبر الحروب الصليبية، ومدافع نابليون، ورحلات فاسكو دا غاما، وصولًا إلى الاستعمار، وينتجها الآخر اليوم عبر حروبه وصراعاته، وعبر مؤسساته الأكاديمية، وكذلك عبر أدواته المعرفية التي كرّست مركزيته في تمثيل القوة الفائقة، وفي التعبير عن التحيز التاريخي والثقافي.

نقد هذا الآخر ليس سهلًا، لأن إعادة تمثيله ثقافيًا تحمل معها إكراهات سياسية وأيديولوجية وسلطوية، تكمن في طبيعة القوة التي يصنعها، أو يروّج لها عبر تعاليات الحداثة والعولمة، وأنماط الاستهلاك والاستثمار وسياسات البنوك، وحتى عبر مظاهر الهيمنة والعسكرة، رغم أن تاريخ ذلك النقد ارتبط بذاكرة مسكونة بأشباح القراصنة والجيوش المحتلة، وعلى نحو جعل من "نقد الاستشراق"، بوصفه تمثيلًا ثقافيًا، كما طرحه أنور عبدالملك، قرينًا بكثير من الشكوك و"اللاثقة".

وتواصل هذا مع أطروحات النقد في كتاب "الاستشراق" لإدوارد سعيد، التي تحولت إلى ممارسة نقدية علمية وأكاديمية، وإلى درس منهجي في مواجهة سلطة الآخر ومركزيته، التي توسعت دائرتها مع كتابه الآخر "الثقافة والإمبريالية"، الذي أسس قراءاته النقدية على فكرة التعالق بين الهيمنة والنفوذ الغربي، وبين الأشكال الثقافية التي أنتجتها مؤسساته، حيث "أسطورة" التنوير، والحداثة وما بعدها، وحيث المناهج والنظريات والدراسات الثقافية، وحيث العنف المسلح عبر المشروع الإسرائيلي، أو عبر العنف الثقافي العالق بالمركزية الغربية، وأخيرًا عبر "النيوليبرالية" وما يرافقها من مشاريع إكراهية وشعبوية وعنصرية.

الخوف من الآخر

خطاب نقد الآخر لن يكون متاحًا بسهولة أيضًا، ليس لتفوق هذا الآخر، وللفوبيا الذهنية التي صنعها، بل لأن مركزية ما بعد الاستعمار لم تترك فراغًا، لا في السياسة ولا في المصالح ولا في ضبط إيقاع الحكم السياسي، فتحولت إلى قوة مؤسساتية موازية، لها وظائفها في تدوير "الدرس الاستشراقي"، وفي تضخيم سياساته وإستراتيجياته، التي جعلت من النقد مجالًا متعاليًا، تتحكم به ثنائية "السلطة والمعرفة" التي أشار إليها فوكو، عبر تمثلات ثقافية في اللغة، وفي السياسة، وفي السوق، وكذلك عبر العنف العسكري والأمني والاقتصادي، أو عبر العنف الرمزي الذي ارتبط بمؤسسات الأيديولوجيا والاستثمار، ومراكز البحوث، والهجنة الثقافية، وسياسات البنوك الدولية، والشركات العابرة للقارات.

منهجية "النقد" القائمة على مواجهة الآخر ليست بريئة، ولا بعيدة عن الأيديولوجيا. فبقدر ما عمد إليه إدوارد سعيد في كتابيه "الاستشراق" و"الثقافة والإمبريالية" من نقد وتحليل لمركزية الآخر، في تعاليه، وفي أحاديّته، فإنه وجد خطورته الفائقة من خلال الأفكار والممارسات الثقافية، أو من خلال تمثيله لشرعنة القبول الثقافي، والتماهي مع مظاهر العنف الثقافي، بما فيه العنف اللغوي والعنف الهوياتي، الذي تبدّت مظاهره العنيفة بعد أحداث أيلول – سبتمبر 2001، حيث تحوّل هذا "النقد" إلى عنف مركب، وتضخم العقل الإمبريالي/ الأميركي في خيار "الغزو" لأفغانستان والعراق، مقابل تضخم العنف الأصولي الذي تواطأت في إشهاره جماعات أصولية مع أيديولوجيات محلية، عبّرت من خلاله عن مواجهة شرسة إزاء المركزية الغربية، وتعاليات "الخطاب الكولونيالي".

نتجت عن ذلك سرديات كشفت عن وعي مفارق، وعن رؤية جديدة وغير واضحة لمقولة "ما بعد الكولونيالية"، التي أشك في دقتها العلمية، وحتى في تاريخيتها؛ لأن هذه الكولونيالية لم تغادرنا بعد، وأن "ما بعد" ليس استدعاءً لزمن أو لخطاب جديدين في التاريخ أو في الزمن، بقدر ما هما تمثيل لأوهام كثيرة تكرست عبر سرديات مناوئة، وعبر أطروحات لم تتحرر من عقدة الآخر، لاسيما أن أغلب الروايات المعاصرة تتحدث عن أزمات وجودها، وعن صور معاناتها التي ارتبطت بسرديات الاستبداد الوطني، وليس بسرديات الآخر الذي يدعم الاستبداد الوطني، فضلًا عن تضخم إرهابات المنافي، حيث الإحساس باغتراب الذوات، والعجز جرّاء تقوض اليسار الرومانسي والثوري، وانهيار الاتحاد السوفياتي السابق، الذي تحول إلى منفى رومانسي للأفكار وللثورات الفاشلة.

> خطاب نقد الآخر لن يكون متاحًا بسهولة؛ لا لتفوقه أو للفوبيا الذهنية التي صنعها، بل لمركزية ما بعد الاستعمار

البحث عن الحرية والهوية والمعنى لم يكن إلا رهانًا سرديًا على البحث عن تلك الذوات، التي صنعها المخيال السردي، أو المخيال الأيديولوجي. وحتى موضوع "القراءة الطباقية" بدا هو الأقرب لتورية صناعة "المثقف الطباقي"، الباحث عن ذاته المتخيلة، وعن التأصيل المعرفي لها وسط عالم يمور بالتعدد الصاخب للثقافات، وعبر مواجهة حادة تقتضي مسؤولية الوعي بالمختلف، وبإكراهات العلاقة مع الآخر المتعالي، الذي جعل من لعبة الهويات رهانًا على الاحتواء، أو جعل من "الإنسان الأخير"، بصورته الهيغلية، أنموذجًا خارقًا للبطل الليبرالي، ومن ذاكرة "كبلنغ" مرجعًا لمركزية الغرب الذي يكره الشرق.

تأطير "الطباق"، بوصفه تأويلًا لفحص إشكالية الآخر الثقافي، ليس بعيدًا عن أزمة "المثقف العربي" الذي يواجه خوفًا لا واعيًا من الآخر، ورعبًا من التنوع والتعدد الطائفي والقومي والجماعوي، مثلما يعاني من ذاكرة رمادية محشوة بالهزائم المعقدة، وبالأيديولوجيات المأزومة، وبتعقيدات التمثيل الثقافي، والإشباع الهوياتي، وحتى بتعقيد الاستبداد العالق بتضخم آليات الحكم، والأصوليات الدينية والشعبوية، فضلًا عن تعالقه غير الواعي بهزيمة "المنفى" الذي بات مهددًا من الآخر، لاسيما بعد صعود اليمين المتطرف والشعبوي في أوروبا وأميركا.

البحث عن الذات

ما نعيشه اليوم عربيًا من صراعات داخلية يكشف، أولًا، عن مأزق العلاقة الغامضة مع الآخر، ومع حجم الاستبداد، ومع هوية صنّاع هذا الاستبداد، ثانيًا، وصنّاع العنف الطائفي والقومي الذي تمارسه الهويات المحلية المتطاحنة، ثالثًا، حيث الشيعة والسنة، وحيث العلويون والسنة والدروز والأمازيغ والكرد، وعلى نحو يجعل من "القراءة الطباقية" لهذه الجماعات محفوفة بكثير من الأوهام، ومن الانعزال، وبكثير من العنف أيضًا.

هذه القراءة افترضت أنها تقوم على تبرير حديث الاختلاف، من منطلق أن هذا الاختلاف سيكون كاشفًا عن أزمة التمثيل الثقافي، وعن محنة المثقف وهامشيته، فضلًا عن محنة "الدولة العربية" ذات المركز العسكري أو الأيديولوجي أو الطائفي، والتي تمارس سلطتها عبر تجحيم مفهوم "التنوع" من خلال التوهم بـ"الهوية النقية". الهوية التي لم تعد واقعية، ليس لأنها تنتمي إلى التخيل الميتافيزيقي، بقدر ما تُعبّر عن هوية "قاتلة" أو مستبدة، تفرض سلطتها عبر أشكال أمنية معقدة، أكثر من تمثيل عقدتها الثقافية مع "السرديات الاستعمارية" القديمة.

علاقة هذه القراءة بالمفهوم الطباقي لا تعني ترويجًا عائمًا لتداولية الاشتباك الثقافي مع الآخر، والذي تعود مرجعيته كمفهوم موسيقي إلى منطقة اشتغال إدوارد سعيد الموسيقية والمعرفية، بقدر ما تعني فتح أفق للتعدد والاشتباك، وصولًا إلى توظيفه نقديًا ومعرفيًا، على مستوى توسيع مدارات القراءة والتعرّف، وعلى مستوى مراجعته نقديًا، حيث تتحول هذه القراءة إلى مجال يمكن أن تنمو فيه الحوارات، مثلما تشتغل فيه الأجهزة النقدية لتفكيك "الثابت" والمعياري بمفهومه الأرسطي، وإعادة النظر بعمل المؤسسات والمنابر والأطر التي تكفل السيطرة على تداول الاستعمالات الثقافية، وحتى على مناهج الدرس والبحث في مؤسساتنا الأكاديمية، وعلى نحو يمكن أن يساعد على إتاحة فرص وخيارات أخرى لكتابة الرسائل والأطاريح الجامعية.

تحرير "العقل العربي" وحتى التفكير من عقدة الاستلاب، ومن وهم "الذات المهزومة"، ومن الإشكاليات العالقة بسرديات "التابع" و"ما بعد الكولونيالية" و"عقدة الذات الشرقية" و"الذات الإسلامية"، ليس بهدف اقتراح "مقاومات ثقافية" انفعالية، بل باعتماد خيارات مضادة وفعالة تتجاوز الدونية والهامشية، وتقعيد ما هو نقدي في صياغة السؤال، وفي مواجهة خطاب الآخر، بما فيها إعادة النظر بأطروحات الاستشراق التي تحدث عنها إدوارد سعيد طويلًا، وعلى أسس نقدية تعمد إلى تفكيك إستراتيجياته ومفاهيمه، وتحليل خطاباته من منطلق الوعي بالذات، والوعي بالتحيز الإنساني والتاريخي والثقافي لها.

النقد والجبهات المفتوحة

ما حدث مؤخرًا في الحرب الأميركية – الإسرائيلية ضد إيران كشف عن مأزق خطير في تمثيل العلاقة مع الآخر المتعالي، حيث تحولت هذه الحرب إلى اختبار لفشل هذا الآخر في تكريس "العالمية" وفي تأصيل مفهوم القوة الفائقة من جانب، وكذلك فشل في حماية التوازن الافتراضي للجغرافيا السياسية من جانب آخر، وهو ما سينعكس حتمًا على الواقع وعلى اصطفاف القوى الاجتماعية والسياسية، وحتى الطائفية، وكذلك على هوية التمثيل السياسي والثقافي، وعبر إثارة أسئلة صادمة حول التفاهم والحوار، وحول ثنائية "الاستشراق والاستغراب"، بعيدًا عن الصورة الذهنية التي ارتبطت بسرديات التابع وما بعد الكولونيالي، وباتجاه قد يستدعي إثارة "أسئلة عربية" صادمة وفارقة تخص النقد والمراجعة، مثلما تخص فحص المرجعيات المؤسسة لأزمة الأيديولوجيا والحكم والقومية و"الوهم الطائفي"، ومدى تعالقها بمؤسسات فاشلة، فضلًا عن تغيير زوايا النظر إلى الآخر المختلف، عبر الوعي بكسر كثير من التابوهات الدوغمائية والأفكار المسبقة عن الفضاء الثقافي الشرقي.

الآخر وتمثلات المطابقة الثقافية

العرب
السبت 2026/06/27
السنة 49 العدد 13846

خالد المبارك يواجه عتمة الواقع بسريالية طائره المهلهل

تجربة تمتد على خمسة عقود برؤى استشرافية تحفر الأسطورة

يرتكز المشروع الجمالي للفنان العراقي خالد المبارك، الممتد عبر خمسة عقود، على فلسفة واعية تواجه عتمة الواقع المتصدع بسحر المخيلة البدئية. ومن منبع الأسطورة السومرية وذاكرة الأهوار، ينسج النحات والرسام فضاء سرياليا مركزيا تسكنه الغابة البكر، ويقوده طائر المهلهل كدليل روحي يبث قيم الوفاء والخصوبة والخلود.

علي إبراهيم الدليمي
كاتب عراقي

"رغم العتمة التي نعيش، هناك عالم جميل يكمن في مخيلتنا". بهذه الجملة الافتتاحية يلخص النحات والرسام خالد المبارك، المولود في البصرة عام 1958، فلسفة مشروعه الجمالي الممتد على خمسة عقود. لا يبحث المبارك عن الهروب من واقع متصدع، بل يفتح كوة في جدار "العتمة" ليتسلل منها نور متخيل. أداة هذا التسلل ليست فكرة مجردة، بل كائن بصري حيّ: "طائر المهلهل".

طائر المهلهل عند المبارك ليس زخرفة ولا توقيعا شكليا، هو رفيق رحلة، بوصلة روحية، ومفتاح تأويل. طائر صغير بمنقار يميل إلى الحمرة وريش أبيض يلتقط قزح البيئة الشرقية، اتخذه أهل الأهوار في جنوب العراق رمزا للبشارة. حوّله الفنان إلى جناحين يحلق بهما فوق مدنه، يزورها ويعود ويرتحل ثانية، في حركة لا تنتهي. هكذا صارت "الرحلة تطول"، وصار الفن عنده فعل اغتراب إيجابي: ابتعاد عن الواقع كي نعود إليه ببصيرة أعمق.

من كلكامش إلى غابة البدايات

استقى المبارك مشروعه الفكري من منبعين متلازمين: الأسطورة العراقية القديمة، والحكاية الشعبية الجنوبية. منذ أكثر من خمسة عقود وهو يحفر في حكايات كلكامش الباحث عن الخلود، وفي ذاكرة الأهوار حيث يتجاور المقدس واليومي. لم يكن بحثه أرشيفيا باردا، بل استنطاقا حيا لبعد الإنسانية الخالدة التي اختبرها الإنسان العراقي الأول.

هذه الجذور أنتجت عنده فضاء بصريا مركزيا سمّاه "الغابة البكر". ليست غابة جغرافية، بل غابة كونية ورقة الأغصان، تجمع الزاحف والراجل، المفترس والأليف، في حالة تصالح بدئي. هي صورة افتراضية لعالم ما قبل السقوط: آدم وحواء بفطرتهما الطبيعية، عاريان من ورقة التوت ليس عريا جسديا بل عري أخلاقي من نوازع الشر والبغض والحسد. في هذه الغابة لا قوي ولا ضعيف، لا أفعى تخاف ولا طائر يُصاد. الكل متآلف تحت مظلة الحب الإنساني الخالص.

اللون عند المبارك في هذه الغابة ليس ديكورا. الأخضر والبنفسجي يتعانقان مع أجنحة الطيور البيضاء ليشكلا معجما لونيا يرمز إلى الحب والحكمة والنمو والأمل والخصوبة والنبل والخلود والوفاء. هكذا تحوّلت الغابة إلى رومانسية مفترضة لكنها ضرورية: نموذج مثالي يقيس به الفنان انحرافات الحاضر.

تخصص المبارك أكاديميا في فن النحت، فهو حاصل على دبلوم معهد الفنون الجميلة عام 1981 وبكالوريوس أكاديمية بغداد عام 1985، درّس النحت في معهد وكلية الفنون الجميلة بالبصرة بين 1988 و1992، لكنه لم يحصر نفسه في الكتلة والحجر، بل طور شغفا عميقا بالرسم الزيتي والأكريليك والتخطيط بالحبر والفحم، فاتسعت أدواته تعبيرا كما ونوعا.

جميع أعماله تنتمي إلى مذهب سريالي شخصي، قائم على مفردات واقعية/ رمزية. كما وجد فرويد مفتاح تعقيدات النفس في الأحلام، وجد المبارك إلهامه في محتوى اللاوعي المكبوت، لكنه لا يكتفي بتمثيل الحلم حرفيا. هدفه التقرب من طبقات اللاوعي، ثم مزجها بأنماط الفن الاعتيادي لإنتاج "تنبؤ رؤيوي مستيقظ". هذا التنبؤ ليس هذيانا. هو رؤية لمستقبل مثالي بعيد عن مخلفات الدمار الحضاري وضوضاء الازدحام السلبي. السريالية عنده إذن ليست انفصالا عن الواقع، بل أداة نقد واستشراف. يحفر في اللاوعي كي يعيد بناء وعي جمعي بديل، أنظف وأهدأ وأكثر ألفة.

> **طائر المهلهل عند خالد المبارك ليس زخرفة ولا توقيعا شكليا، هو رفيق رحلة، بوصلة روحية، ومفتاح تأويل**

وإذا كانت الغابة هي المكان، فإن طائر المهلهل هو الدليل. اختاره المبارك رمزا متوازيا مع أسلوبه: متوازن، هادئ، بشير خير. يصفه الفنان بأنه "صديقه النبيل" الذي يستعين بجناحيه الكبيرين ليحلق بعيدا، يزور مدنه ويعود. دلالة الطائر متعددة الطبقات:

● **روحيا**: هو تجسيد للأمل الذي لا يموت رغم العتمة. جناحاه يرفعان الفنان والمتلقي معا فوق الواقع الجريح.

● **ثقافيا**: ارتباطه بأهوار الجنوب يجعل منه حامل هوية محلية، يذكّر بأن الجمال يمكن أن ينبع من البيئة الأقرب.

● **جماليا**: منقاره الأحمر وريشه الأبيض القرمزي يشكلان تباينا لونياً يفتح اللوحة على إمكانات بصرية جديدة، ويكسر رتابة الأبيض والأسود الذي تفرضه "العتمة".

بهذا الطائر ينتقل المبارك من الفنان الواصف إلى الفنان المسافر. لا يرسم مشهداً، بل يرسم حركة. و"الرحلة تطول" لأن سؤال الإنسان عن الخلود والسلام لا ينتهي.

من الخاص إلى العام

تجربة خالد المبارك لا تُقرأ في لوحة واحدة، بل في مسار نشاطات متتابع، ينتقل به من المعمل إلى الشارع، ومن القاعة إلى المدينة: بدأ بدبلوم النحت ثم البكالوريوس. درّس النحت في البصرة حتى عام 1992، وساهم في تأسيس كلية الفنون هناك عام 1992، وشغل منصب مدير المعارض في نقابة التشكيليين بالبصرة عام 1995. هذه المرحلة رسّخت يده النحتية ومنطقه الأكاديمي.

انطلقت معارضه الشخصية بمعرض "تخطيط" في البصرة عام 1979، ثم "شناشيل" عام 1982، و"زقاق ومدينة" في بغداد عام 1983. في عام 1991 قدّم "نحت ورسم" بجامعة البصرة، وفي عام 1992 معرض "الرواق" ببغداد، وصولا إلى "حلم" عام 1995. كانت هذه المحطات مختبره الأول لصياغة لغته بين الكتلة والسطح.

مع مهرجان بابل الدولي قدّم "تراتيل الغابة" عام 1998 و"قصص وأساطير" عام 1999، معلنا انتماءه إلى فضاء الغابة البكر. تبعتها معارض في عمان وبغداد عام 2000، ومعرض في عالية/ لبنان عام 2002 حيث أنجز نصب "كلكامش يرقد بين الأعشاب". هنا اكتملت علاقته بالأسطورة والفضاء المفتوح.

شارك في سمبوزيومات عالية واهدن بلبنان، وفي الدوحة عاصمة الثقافة العربية عام 2010، ومعارض في قطر والإمارات وتونس وفرنسا ومسقط. عام 2013 قدّم "كائنات تلامس سطح اللوحة" ضمن بغداد عاصمة الثقافة العربية.

في عام 2014 أطلق مشروعه المتنقل "تماثيلي تضيء العتمة" وجال به البصرة وذي قار والجزائر.

من عام 2014، بدأ المعرض الشامل المتنقل "تماثيلي تضيء العتمة"، هذا المشروع هو خلاصة مرحلته. أكثر من 40 عملا زيتيا وكرافيكا ومنحوتا، بوحدة موضوعية واحدة: "الأمل الإنساني" للعراقي خصوصا وللإنسان عموما، انطلق من مهرجان الشعر في البصرة، مرورا بالناصرية والعمارة وبغداد، ثم إلى الجزائر، مع خطة لنقله إلى مدن عربية أخرى. الاسم نفسه إعلان برنامج: الفن كفعل إنارة في زمن العتمة.

إلى جانب اللوحة أنجز المبارك سلسلة نصب تثبت فنه في الذاكرة الحضرية: نصب كلكامش في عالية عام 2002، نصب البصرة عاصمة الثقافة عام 2008، نصب الجنائن المعلقة ببابل عام 2008، نصب المرأة العراقية بأبونواس عام 2009، نصب التآخي عام 2010.

وذروة هذا المسار كان "نصب السلام" في ساحة حافظ القاضي بشارع الرشيد، افتتح عام 2017، بعد سنة ونصف السنة من العمل عليه، وزن النصب نحو 5 أطنان، من البرونز والألمنيوم والفافون والحديد المجلفن. فكرته تحكي قصة العراقيين: دجلة والفرات في عناق أزلي كرمز للكرخ والرصافة، حمامة السلام تعلوه، وعجلة ذات وجهين: الماضي حضارة، والحاضر مستقبل. العمل استغرق 15 شهرا في ظروف صعبة، تعرض خلالها الفنان لحادث سير وتمزق ساعده الأيمن، وفُقدت أجزاء من النصب بفعل السرقة، لكنه أصر حتى اكتمل، اليوم النصب بصمة في شارع الرشيد، يترك أثره لدى كل مارّ.

وبمناسبة يوم بغداد، وبالتعاون مع مصرف الجنوب الإسلامي وأمانة بغداد، كُلّف المبارك بنفسه بصيانة وترميم "نصب السلام". المبادرة تحمل رمزية مضاعفة: الفنان يعود ليضمد جرح عمله، كما يضمد جرح المدينة.

فن يضيء العتمة

لا يقدّم المبارك وهما مثاليا، فهو يعترف بالعتمة أولا، ثم يبحث عن النور داخل المخيلة. منحوتاته ولوحاته "تضيء بعضا من العتمة التي نعيشها". الإضاءة هنا ليست إنكارا للألم، بل مقاومة له. الغابة البكر عنده ذكرى ماض بعيد، لكنها أيضا مشروع مستقبل. كلما اقترب الفنان من هذا العالم الساحر، اقترب المتلقي معه، طائر المهلهل لا ينقلنا إلى عالم آخر، بل يذكّرنا بأن العالم الآخر ممكن، إن أعدنا ترتيب قيمنا.

نقاط القوة والرهانات عند الفنان مبارك تكمن في: الوحدة الرمزية: ربط الغابة بالطائر وبالنصب يخلق خطاباً بصرياً متماسكاً، لا يتشتت رغم تنوع الخامات.

الجذر المحلي: استلهامه من كلكامش والأهوار يمنحه أصالة، في زمن يغرق فيه كثيرون في استعارات مستوردة.

الانتقال من القاعة إلى الشارع: النصب نقله من فنان معارض إلى فنان مدينة، يجعل من الفن جزءاً من الحياة اليومية.

الرهانات المفتوحة: التحدي الأكبر أمام المبارك هو كيف يحافظ على "الرومانسية المفترضة" دون أن تتحول إلى مثالية ساذجة، قوة مشروعه تكمن في توازنه بين الحلم والنقد، طالما بقي طائر المهلهل يحلق فوق خراب الواقع ولا ينعزل عنه، يبقى المشروع حياً.

خالد المبارك فنان مزدوج اليد: يد تنحت الحجر وتؤسس النصب، ويد ترسم بالحبر والفحم وتبني الغابات. بين اليدين يقف طائر المهلهل، يذكّره بأن الفن مهمته ليست توثيق العتمة، بل اختراقها.

«مرجانة»: سينما مؤلف واعية تتجاوز المحلية النمطية المغربية

عبدالرحيم الشافعي
ناقد سينمائي مغربي

عرضت القاعة السينمائية التاريخية "ألكازار" بطنجة الفيلم المغربي الطويل "مرجانة" للمخرج جمال السويسي، ضمن فعاليات مهرجان "فوتو طنجة" الدولي.

يروي الفيلم (مدته 100 دقيقة) قصة شابة مغربية تدعى مرجانة تعيش في باريس مهووسة بفنون الأوبرا، وتحلم بالعودة إلى طنجة لتقديم عرض أوبرالي كبير مستوحى من أوبرا "كارمن". تواجه البطلة مأساة وفاة حبيبها في حريق، ثم صراعا مع نظرة المجتمع وتقاليده بعد حملها، قبل أن تتمكن من تجاوز العراقيل وتحقيق حلمها.

الفيلم من سيناريو وإنتاج وإخراج جمال السويسي، ويشارك فيه الممثلون أحمد أقومي، نادية نيازي، سمية أكعبون، فريدة أوشاني، نسرين آدم، نادية كوندة، ريم الهاشمي، سميرة الكثيري، عبدالله بن سعيد، حمزة اليملاحي، هناء البواب، إضافة إلى الممثلة الفرنسية آن لواغي.

أدرك المخرج أن العالم السينمائي العربي يعاني من نمطية محددة في الموضوعات والمعالجات، فاختار أن يروي قصة مختلفة تدور حول امرأة حقيقية تحمل طموحات إنسانية نبيلة وتواجه عقبات اجتماعية فعلية.

وجسدت البطلة مرجانة حالة نفسية وجودية معقدة. عادت من أوروبا امرأة تذوقت طعم الحرية والاستقلالية بعد إقامة ناجحة مع عائلتها، لتواجه قيودا اجتماعية وأسرية لم تتوقع قسوتها. صاغ سويسي السيناريو مع فريقه برؤية عميقة، فأدخل الصراع إلى الأعماق النفسية والأخلاقية للشخصيات. عاشت مرجانة صراعا مع ذاتها قبل صراعها مع المجتمع، وهنا يكمن السحر الحقيقي للعمل.

واختار جمال سويسي الاقتراب من موضوع يعتبره البعض خطا أحمر: حقوق المرأة والحمل خارج الزواج في المجتمع الإسلامي المحافظ. قاوم الإغراء بمعالجة استفزازية رخيصة أو تبسيطية، وراهن على طرح رؤية متعددة الأوجه تحترم تعقيد الواقع الاجتماعي والديني.

وصرف السيناريو الشخصيات عن كونها رموزا بسيطة مظلومة ضد ظالمة ليجعلها شخصيات حقيقية محركة بدوافع معقدة، بينما أظهرت شخصية العمة خوفا مشروعا من الإرث والشرف الاجتماعي، وتضغط باستمرار على مرجانة من أجل الإجهاض لتحافظ على نصيب أخيها والد مرجانة من الميراث.

وتبرز متتاليات المشاهد رغبة العمة في الحفاظ على المكانة الاجتماعية للعائلة ذات الطبقة الراقية، في حين أن المخرج لم يجعلها شريرة بدون أبعاد، وإنما أظهر خوفا متجذرا في ثقافة قديمة ومحافظة.

وعبّر الوالدان عن توازن حقيقي بين الحب لابنتهما والضغط الاجتماعي المحيط بهما، إذ دافع الوالدان عن ابنتهما وقررا البحث عن حل شرعي يتمثل في شهادة زواج تحافظ على كرامتها وحقوقها. ويرقى هذا الأسلوب إلى نضج فني ووعي إنساني حقيقي. وتبين نواة السيناريو رؤية فلسفية واضحة من خلال الحب الذي تحمله مرجانة لطفلها، حينما تحول هذا الحب إلى تكريم لذاكرة حب سابقة؛ شخص متوفى، وهذا يرفع القصة من مستوى درامي عادي إلى مستوى وجودي مخالف، فتحول الألم إلى معنى، والمأساة إلى انتصار إنساني صامت قوي.

وشخصت الممثلة والمغنية المغربية هناء بواب أداء استثنائيا يستحق الوقوف الطويل، إذ اعتمدت على صدق ينبع من فهم حقيقي للشخصية. تجلى حنقها وبراءتها وإصرارها من خلال كل حركة وكل نظرة من عينيها.

وشكل الجانب الموسيقي منصة تعبيرية إضافية في أدائها، إذ أصبحت الأوبرا لغة الشخصية الداخلية، طريقة التعبير عن الأحاسيس التي تعجز الكلمات عن إيفائها حقها. واحترفت هناء البواب هذا التوازن الدقيق وحولت الأداء إلى تجربة سينمائية متكاملة، دمجت فيها الدراما والغناء في وحدة متناسقة، خاصة عندما غنت البطلة بحرية كممثلة مسرحية محترفة، معبّرة عن مهارتها الصوتية بجودة عالية. ويبرز شغفها كـ"ديفا" حقيقية على المسرح، تؤدي أوبرا "كارمن" بثقة واقتدار عالٍ.

> **جمال السويسي يروي قصة مختلفة تدور حول امرأة حقيقية تحمل طموحات إنسانية نبيلة وتواجه عقبات اجتماعية فعلية**

وأضافت نادية نيازي، التي جسدت دور الأم، دفئا وتوازنا على الأداء. اختارها المخرج لتجسيد دور الأم الحنونة القلقة على مصير ابنتها، وأظهرت القلق الأمومي الحقيقي والدعم العائلي العميق. وترجمت لحظات الصمت في تمثيلها قصصا بكاملها. امتلأت الكيمياء بين الممثلتين الرئيسيتين بصدق حقيقي، رغم الملاحظة التقنية المشروعة حول عدم التناسب العمري الواضح بينهما.

وأوضح عمل سويسي كمخرج تحكما بلغة السينما البصرية بتفاصيلها. كما اختار مدينة طنجة موقع مسقط رأسه، كخلفية دراماتيكية مدروسة تعبر عن فهم لقيمة المكان في السرد السينمائي، فتحولت طنجة بثرواتها الثقافية والسينمائية وتاريخها العريق وساحاتها وشوارعها القديمة إلى شخصية ثانية في الفيلم، وتحاور البطلة الرئيسية وتعمق معنى صراعها. واختار المخرج هذه المدينة لتمتلك جمالا استثنائيا طبيعيا يستجيب لرؤيته الفنية.

وتفادى المخرج فخ السينما الجميلة الخاوية من الدلالة، إذ خدمت الجماليات البصرية في "مرجانة" المعنى الدرامي عوض إحلالها محله، وحملت كل لقطة وزنا دراميا معينا، فنقلت الإضاءة حالات نفسية محددة وترجمت الألوان تقلبات عاطفية للشخصيات.

وأنجز المخرج عمله خلال فترة زمنية طويلة امتدت من 2018 إلى 2022 رغم التحديات الهائلة. إذ جرى التصوير خلال جائحة كورونا والميزانيات المحدودة والقيود الإجرائية الصارمة، واجتاز العقبات الحادة وأتم فيلمه برؤية واضحة. وأضاف هذا الاستثناء قيمة إضافية للعمل، فشهد على فن إخراجي وإرادة فنية حقيقية وقدرة على التكيف والإبداع تحت الضغط.

فيلم يحمل دلالات ثقافية واجتماعية عميقة

العرب
السبت 2026/06/27
السنة 49 العدد 13846

أوروبا تحت لهيب الصيف

موجة حر استثنائية تشل الحياة والمناخ يرفع الإنذار

بين مدن تحولت إلى أفران مفتوحة، ومستشفيات تستقبل مئات المصابين بالإجهاد الحراري، وشوارع خلت من المارة تحت شمس حارقة، تواجه أوروبا واحدة من أقسى موجات الحر في تاريخها الحديث؛ حرارة قياسية وحرائق متسارعة وتعطل للحياة اليومية، فهل باتت القارة العجوز تدفع ثمن التغير المناخي الذي طالما حذّر منه العلماء؟

بروكسل - تعيش أوروبا واحدة من أقسى موجات الحر التي عرفتها خلال السنوات الأخيرة، بعدما اجتاحت درجات الحرارة المرتفعة مناطق واسعة من القارة، متسببة في اضطرابات صحية وخدمية واقتصادية، ومجددة النقاش حول تأثيرات التغير المناخي التي باتت أكثر وضوحًا في الحياة اليومية للملايين من الأشخاص.

> **درجات حرارة قياسية واضطرابات واسعة تكشف واقعا مناخيا جديدا يفرض تحديات صحية واقتصادية متزايدة**

ولم تعد الموجة الحالية مجرد ظاهرة جوية عابرة، بل تحولت إلى اختبار حقيقي لقدرة المدن الأوروبية على التعامل مع واقع مناخي جديد، حيث تجاوزت درجات الحرارة في عدد من الدول الأربعين درجة مئوية، فيما سجلت مناطق عدة مستويات قياسية بالنسبة إلى شهر يونيو.

وأكد علماء المناخ أن موجة الحر الحالية ما كانت لتصل إلى هذه الحدة لولا التأثير المتزايد للاحتباس الحراري الناتج عن الأنشطة البشرية. وخلص تحليل أجرته مجموعة "وورلد ويذر أتريبيوشن" المتخصصة في دراسات إسناد الظواهر المناخية إلى أن هذه الموجة تعد من الأكثر شدة على الإطلاق في المنطقة التي شملتها الدراسة.

وأوضح العلماء أن تغير المناخ جعل احتمالات تسجيل درجات حرارة ليلية مرتفعة للغاية أكبر بكثير مما كانت عليه قبل عقود، مشيرين إلى أن ارتفاع حرارة الليل يمثل خطرًا إضافيًا، لأنه يمنع الجسم من استعادة توازنه بعد التعرض للحرارة خلال النهار. وبحسب الدراسات المناخية، فإن الانبعاثات الناتجة عن حرق الفحم والنفط والغاز أدت إلى ارتفاع متوسط حرارة الأرض بنحو 1.4 درجة مئوية مقارنة بمستويات ما قبل الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، فيما أصبحت أوروبا القارة الأسرع ارتفاعًا في درجات الحرارة عالميا.

وشملت الموجة دولًا عدة، أبرزها فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإسبانيا والمملكة المتحدة، حيث رفعت السلطات مستويات التحذير في عدد من المناطق، ودعت السكان إلى اتخاذ إجراءات وقائية، خاصة كبار السن والأطفال والأشخاص الذين يعانون أمراضًا مزمنة.

في بريطانيا سجلت درجات الحرارة مستويات قياسية لشهر يونيو، ما أدى إلى اضطرابات في الحياة اليومية وإغلاق عدد من المدارس والمرافق العامة. كما تأثرت حركة النقل بسبب تمدد بعض أجزاء البنية التحتية نتيجة الحرارة المرتفعة.

أما فرنسا فكانت من أكثر الدول تأثرًا، إذ سجلت مناطق عدة درجات حرارة تجاوزت 40 درجة مئوية، واضطرت السلطات إلى اتخاذ إجراءات استثنائية شملت إغلاق مدارس وتقليص بعض الأنشطة في المواقع السياحية والثقافية.

وفي العاصمة باريس لجأ السكان والزوار إلى الحدائق والمناطق القريبة من المياه بحثًا عن بعض التخفيف من شدة الحر. وأصبحت الساحات المفتوحة التي عادة ما تعج بالسياح أماكن صعبة الاحتمال خلال ساعات النهار.

وفي إيطاليا أعلنت السلطات حالة تأهب في مدن كبرى، بينها روما وميلانو والبندقية، مع تحذيرات من ممارسة الأنشطة الخارجية في أوقات الذروة. كما تسبب الاستخدام المكثف لأجهزة التكييف في ضغط إضافي على شبكات الكهرباء.

أما ألمانيا فواجهت بدورها موجة حر غير معتادة لهذا الوقت من العام، وسط تحذيرات من زيادة خطر حرائق الغابات بسبب الجفاف وارتفاع درجات الحرارة.

وتعكس شهادات السكان حجم المعاناة التي فرضتها الظروف الجوية القاسية. ففي روما تحدث عدد من الزوار عن صعوبة التجول في المواقع التاريخية بسبب الحرارة الشديدة، حيث تحولت المساحات المفتوحة إلى مناطق يصعب البقاء فيها لفترات طويلة.

وقال أحد السكان في باريس إن المشكلة لم تعد مرتبطة فقط بحرارة النهار، بل باستمرار ارتفاع درجات الحرارة خلال الليل، ما جعل النوم صعبًا داخل بعض المنازل القديمة التي لا تتوفر فيها أنظمة تبريد فعالة.

وفي ميلانو أشار عامل في قطاع النقل إلى أن ارتفاع الحرارة يؤثر على ظروف العمل اليومية ويزيد من الضغط على المعدات والخدمات، خصوصًا بالنسبة إلى العاملين في الأماكن المكشوفة. لم تتوقف تداعيات موجة الحر عند الشعور بالإرهاق أو الانزعاج، بل بدأت تظهر آثار صحية أكثر خطورة. فدرجات الحرارة المرتفعة قد تؤدي إلى الجفاف والإجهاد الحراري وضربات الشمس، خصوصًا لدى الفئات الأكثر هشاشة. وحذر خبراء الصحة من أن موجات الحر المتكررة أصبحت سببا مهما للوفيات المرتبطة بالمناخ. وأشارت دراسات سابقة إلى وفاة عشرات الآلاف بسبب موجات حر شهدتها أوروبا خلال صيف عام 2022.

كما حذرت منظمة الصحة العالمية من حجم الخطر العالمي، مشيرة إلى أن مئات الآلاف من الأشخاص يفقدون حياتهم سنويًا لأسباب مرتبطة بالحرارة. وانعكست الموجة على قطاعات النقل والسياحة والزراعة، كما أدى ارتفاع الطلب على الكهرباء إلى زيادة الضغط على شبكات الطاقة في عدد من الدول.

ويرى العلماء أن تزايد موجات الحر وحدتها خلال السنوات الأخيرة مرتبط مباشرة بارتفاع درجات حرارة الكوكب. فالتغير المناخي لا يعني فقط ارتفاع المعدل العام للحرارة، بل يؤدي أيضًا إلى زيادة الظواهر المتطرفة مثل موجات القيظ والجفاف والحرائق.

وأكد الباحثون أن موجة مشابهة لما تشهده أوروبا اليوم كانت ستكون أقل شدة بكثير في مناخ سبعينات القرن الماضي، ما يعكس حجم التحول الذي طرأ خلال عقود قليلة.

وأشار التحليل المناخي إلى أن نسبة كبيرة من المدن الأوروبية سجلت أو مرشحة لتسجيل مستويات قياسية من الإجهاد الحراري، وهي الحالة التي يعجز فيها الجسم عن تبريد نفسه بشكل طبيعي.

ولجأت السلطات الأوروبية إلى فتح مراكز تبريد، وتعزيز خدمات الطوارئ، وإطلاق حملات توعية لحماية السكان. كما ركزت الإجراءات على مساعدة كبار السن وتوفير المياه في المناطق الأكثر تضررا. ورغم توقعات بانخفاض نسبي في درجات الحرارة ببعض المناطق، يحذر خبراء الأرصاد من أن موجات الحر قد تصبح أكثر تكرارا خلال فصل الصيف، ما يفرض على الحكومات إعادة التفكير في تصميم المدن والبنية التحتية. وتشير التطورات الأخيرة إلى أن أوروبا لم تعد تواجه موجة حر عابرة فقط، بل واقعًا مناخيًا جديدًا يحتاج إلى حلول طويلة الأمد، تجمع بين تقليل الانبعاثات وتعزيز قدرة المجتمعات على التكيف.

فما يحدث اليوم في شوارع أوروبا ومستشفياتها ومحطات قطاراتها ليس مجرد قصة ارتفاع في درجات الحرارة، بل إنذار جديد بأن أزمة المناخ أصبحت جزءًا من تفاصيل الحياة اليومية، وأن التعامل معها لم يعد خيارا مؤجلا.

ثمن الاحتباس الحراري

الحر يختبر باريس

صيف العراق يضاعف معاناة المواطنين ليلا نهارا

بغداد - تواجه محافظات عراقية، وفي مقدمتها العاصمة بغداد، موجة حر موسمية شديدة دفعت درجات الحرارة إلى ما يزيد على 48 درجة مئوية، لتضيف عبئا جديدا على حياة ملايين العراقيين الذين يكافحون سنويا للتأقلم مع صيف يعد من بين الأشد حرارة في العالم.

وبينما يفرض الطقس القاسي تحديات كبيرة على العمال الميدانيين وسكان الأحياء الشعبية، تتفاقم الأزمة مع تراجع ساعات تجهيز الكهرباء، واستمرار أزمة شح المياه، في وقت تؤكد فيه الحكومة أنها تمضي في تنفيذ خطط لتحسين منظومة الطاقة رغم التحديات التي فرضتها التطورات الإقليمية، وعلى رأسها تراجع إمدادات الغاز الإيراني.

ووفقًا لهيئة الأنواء الجوية العراقية، فإن البلاد تشهد طقسًا شديد الحرارة، يترافق مع نشاط للرياح الشمالية الغربية المثيرة للغبار المحلي بدرجات متفاوتة، خاصة في المناطق الوسطى والجنوبية، مع توقعات باستمرار درجات الحرارة عند مستوياتها المرتفعة خلال الأيام المقبلة، وهو ما يثير مخاوف من انعكاسات صحية وبيئية متزايدة.

ولا تعد موجات الحر ظاهرة جديدة في العراق، إلا أن ارتفاع درجات الحرارة خلال السنوات الأخيرة، بالتزامن مع تراجع الموارد المائية، جعل الصيف أكثر قسوة على السكان، خصوصًا في المحافظات الجنوبية والوسطى التي تسجل سنويًا درجات حرارة تقترب من 50 درجة مئوية.

لهيب حارق

وفي جولة ميدانية بشوارع بغداد، بدت آثار موجة الحر واضحة على حركة المواطنين، حيث خلت بعض الشوارع من المارة خلال ساعات الظهيرة، فيما اضطر العمال وأصحاب المهن الحرة إلى مواصلة أعمالهم تحت أشعة الشمس الحارقة لعدم امتلاكهم خيارًا آخر لتأمين لقمة العيش.

داخل الأسواق الشعبية يحاول الباعة الاحتماء بالمظلات أو رش المياه أمام محالهم لتخفيف حدة الحرارة، بينما يعتمد آخرون على مراوح صغيرة تعمل بالطاقة الكهربائية أو البطاريات، إلا أن تأثيرها يبقى محدودًا أمام درجات حرارة تلامس نصف درجة الغليان.

وتزداد معاناة عمال البناء، وعمال النظافة، وباعة الأرصفة، وسائقي المركبات، الذين يقضون ساعات طويلة في الهواء الطلق، معرضين لمخاطر الإجهاد الحراري وضربات الشمس، في ظل محدودية إجراءات الحماية.

ويروي أحمد سلام راغب (18 عامًا)، وهو طالب يعمل في أحد المحال التجارية لمساعدة أسرته، تفاصيل الحياة اليومية تحت موجة الحر، قائلا "نعاني كثيرا من شدة الحرارة؛ فالعراق يواجه أزمة جفاف حقيقية، ونخشى بحلول شهر أغسطس أن يجف نهر دجلة تمامًا وينقطع الماء".

ويضيف راغب أن المشكلة لا تقتصر على الحرارة فقط، بل تتضاعف بسبب أزمة الكهرباء المستمرة، ويقول "الكهرباء الوطنية تأتي أحيانا لساعتين وتنقطع لأربع ساعات، وفي بعض الأيام تنطفئ بعد ربع ساعة فقط من تشغيلها".

ويتابع بأسى "لا نرى أي نتيجة للإنفاق الحكومي على قطاع الكهرباء منذ عام 2003، مشيرا إلى أن الأزمة تمتد حتى المدارس، إذ يقول "عندما تبدأ الدراسة في سبتمبر نفتقد وسائل التبريد داخل الصفوف، ونضطر إلى الكتابة بينما يتصبب العرق منا طوال الحصة".

أما سلام راغب، الذي يعمل بائعًا على أحد الأرصفة، فيؤكد أن الاحتماء بالمظلات لم يعد كافيًا، موضحا أن حرارة الجو أصبحت تخترق كل وسائل الوقاية، ويضيف أن الكهرباء لا تصل إلى منزله أحيانًا إلا لمدة ساعة واحدة فقط يوميًا، ما يجعل الحياة داخل المنزل أكثر صعوبة، خاصة خلال ساعات الليل.

وتظل الكهرباء العنوان الأبرز لمعاناة العراقيين خلال فصل الصيف، إذ يعتمد ملايين السكان على أجهزة التبريد لمواجهة درجات الحرارة المرتفعة، إلا أن الانقطاعات المتكررة للكهرباء تدفعهم إلى اللجوء للمولدات الأهلية التي أصبحت جزءًا أساسيًا من الحياة اليومية.

وتقول انتصار الفتلاوي (60 عامًا) إن درجات الحرارة الحالية تجاوزت قدرة الإنسان على التحمل، مضيفة أن كثيرين يضطرون إلى الخروج للعمل رغم المخاطر بسبب الظروف الاقتصادية.

وتوضح أن الاعتماد أصبح شبه كامل على مولدات الكهرباء الأهلية، وتذكر أن "الكهرباء الوطنية تأتي لساعتين وتنقطع لست ساعات، والمبردات المنزلية تضخ هواءً حارًا كالنار". ورغم شكاوى المواطنين من ارتفاع أسعار اشتراكات المولدات، ترى الفتلاوي أنها أصبحت الخيار الوحيد، وتقول "رغم تذمرنا من أصحاب المولدات وأسعارهم المرتفعة والمخالفة للقانون، إلا أنهم يمثلون البديل الوحيد لحماية الأطفال وكبار السن من هذا اللهيب".

> **في بغداد يتحول البحث عن الظل والكهرباء للتبريد إلى رحلة يومية شاقة، خاصة للعمال وسط لهيب لا يرحم**

وتعرب عن أملها في أن تتمكن وزارة الكهرباء من إنهاء هذه الأزمة المزمنة، خاصة مع تكرارها كل صيف دون حلول جذرية.

ولا تقتصر التحديات على الكهرباء، إذ يواجه العراق أزمة مائية متفاقمة نتيجة انخفاض الإيرادات المائية وتراجع مناسيب نهري دجلة والفرات، إلى جانب تأثيرات التغير المناخي وارتفاع معدلات التبخر.

ويحذر خبراء من أن استمرار موجات الحر مع شح المياه قد ينعكس على القطاع الزراعي والأمن الغذائي، فضلا عن زيادة التصحر والعواصف الترابية التي أصبحت أكثر تكرارًا خلال السنوات الأخيرة.

وتؤكد وزارة الكهرباء أن الاستعدادات لموسم الصيف بدأت منذ أشهر، إلا أن انخفاض تجهيز الغاز المحلي وتراجع الإمدادات القادمة من إيران أثرا على القدرة الإنتاجية لمحطات الكهرباء.

وكان المتحدث باسم وزارة الكهرباء أحمد موسى قد أوضح أن إيران كانت تزود العراق بنحو 50 مليون متر مكعب من الغاز يوميا، وهو ما يغطي قرابة ثلث احتياجات البلاد، ويسهم في إنتاج نحو ستة آلاف ميغاواط من الكهرباء.

قمة مرتقبة بين المغرب وهولندا في الدور الثاني من كأس العالم

أسود الأطلس يتطلعون إلى التألق على خطى مونديال قطر

منتخب الروح الجماعية

يستعد المنتخب المغربي لخوض مواجهة مصيرية أمام نظيره الهولندي في دور الـ32 من بطولة كأس العالم 2026، في لقاء يضع "أسود الأطلس" أمام اختبار من العيار الثقيل، سعياً إلى تخطي "الطواحين" وحجز بطاقة التأهل إلى الدور ثمن النهائي.

مونتيري (المكسيك) - يصطدم المنتخب المغربي بنظيره الهولندي في موقعة قوية في دور الـ32 لكأس العالم 2026، وذلك في أعقاب منافسات المجموعة السادسة من الدور الأول للبطولة فجر الجمعة.

وقدم المنتخب المغربي مستويات مميزة وثابتة خلال النسخة الحالية من المونديال، مؤكدا مكانته كأحد أبرز المنتخبات على الساحة العالمية، بفضل أسلوبه الذي يجمع بين الانضباط التكتيكي، والصلابة الدفاعية، والروح القتالية العالية.

وأظهر "أسود الأطلس" شخصية قوية أمام المنتخبات الكبرى، بعدما فرضوا التعادل (1 – 1) على المنتخب البرازيلي في المباراة الافتتاحية، في نتيجة عكست جاهزيتهم للمنافسة بقوة على المضي بعيداً في البطولة.

وواصل المنتخب المغربي نتائجه الإيجابية بالفوز على إسكتلندا بهدف دون رد، قبل أن يتغلب على هايتي بنتيجة 4 – 2، ليضمن تأهله إلى الأدوار الإقصائية بثقة.

ويرتكز المنتخب المغربي على حصانة دفاعية صلبة وروح جماعية عالية، مدعوماً بالسرعات الكبيرة التي يتمتع بها ظهيره وقائده أشرف حكيمي وعناصره في خط المقدمة، الذين يشكلون قوة هجومية مؤثرة، ومع ذلك يظل التحدي الأبرز للمنتخب تحويل الفرص المتاحة إلى أهداف خلال الثلث الأخير من الملعب، إذ يتطلب الأمر دقة أكبر لكسر التكتلات الدفاعية في مثل هذه المواجهات الحاسمة.

وسبق أن أكد مدرب المنتخب المغربي محمد وهبي أنه لا يفضل مواجهة أي منتخب بعينه في دور الـ32 من بطولة كأس العالم لكرة القدم 2026، مشددا على أن فريقه مستعد لأي منافس محتمل.

وقال وهبي في المؤتمر الصحفي عقب مباراة هايتي "ليس لدي خصم مفضل. غدا سنعرف المنتخب الذي سوف نلعب ضده، تتواجد أمامنا ثلاثة احتمالات مختلفة، لكل منها أسلوب اللعب الخاص به".

وأضاف "لقد جئنا إلى كأس العالم بطموحات كبيرة. لدينا الرغبة والطموح، ونحن مستعدون للجميع. يتعين علينا أن نجهز أنفسنا ثم بعد ذلك نقوم بدورنا في تحليل المنافسين، حتى إننا قمنا بتحليل أداء كل من هولندا واليابان والسويد".

وشدد المدرب المغربي قائلا "مهما كان الخصم أمامنا، فنحن نملك مجموعة قوية من اللاعبين، وجهازا رائعا، وجماهير كبيرة، ولدينا كل العناصر التي تجعلنا نثق في أنفسنا".

وتابع "منتخب المغرب دخل مرحلة جديدة، اللاعبون أصبحوا يثقون في قدراتهم، والمنافسون أصبحوا يحترمون فريقنا، لذلك يتعين علينا أن نثق بأنفسنا وبإمكانياتنا. لهذا السبب يجب أن يكون هدفنا هو الفوز بكأس العالم، لكن تحقيق ذلك يمر عبر احترام جميع الخصوم. إنني أثق في العمل الذي نقوم به".

وأشار إلى أنه "ينبغي علينا تحسين بعض الأشياء، وبعد كل مباراة نقوم بدراسة كل أمر وتحليل ما حدث من أجل تحقيق الأفضل".

في المقابل، فاز المنتخب الهولندي على تونس 3 ـ 1 في الجولة الثالثة والأخيرة على ملعب كانساس سيتي، ليتصدر ترتيب المجموعة السادسة برصيد 7 نقاط، متقدما بفارق الأهداف عن اليابان التي تأهلت أيضا عن المجموعة ذاتها، مع السويد (كأفضل ثالث) بعد تعادلهما الجمعة (1 ـ 1).

> المنتخب المغربي يرتكز على حصانة دفاعية صلبة وروح جماعية عالية، مدعوما بسرعة ظهيره وقائده أشرف حكيمي

ووفقا لمسار منافسات الأدوار الإقصائية، يواجه متصدر المجموعة السادسة، وهو هولندا وصيف المجموعة الثالثة، وهو المنتخب المغربي، ما يعني أن مواجهة أسود الأطلس مع المنتخب البرتقالي ستكون إحدى القمم المثيرة في الدور الثاني.

وتقام مباراة المغرب وهولندا الاثنين 29 يونيو الجاري على ملعب مونتيري، ويسعى فيها رفاق أشرف حكيمي لمواصلة طريقهم نحو إنجاز مونديالي جديد بعد 2022.

وتأتي هذه المواجهة لتستحضر في الأذهان ذكريات تاريخية جمعت الطرفين في مونديال الولايات المتحدة عام 1994، حين التقيا في دور المجموعات بمدينة أورلاندو بولاية فلوريدا، وانتهت تلك المواجهة الوحيدة بينهما في كأس العالم بفوز هولندا بهدفين لهدف.

وأكد رونالد كومان، المدير الفني لمنتخب هولندا، أن فريقه لم يجد صعوبة في التغلب على منتخب تونس ببطولة كأس العالم لكرة القدم 2026، مشيرا في الوقت ذاته إلى أن هدف فريقه هو المضي قدما في المونديال.

وحقق المنتخب الهولندي انتصارا ثمينا 3 – 1 على منتخب تونس، مساء الخميس بالتوقيت المحلي، في الجولة الثالثة (الأخيرة) بالمجموعة السادسة من مرحلة المجموعات للمونديال، المقام حاليا في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا.

وارتفع رصيد المنتخب الهولندي، الذي يحلم بالتتويج بكأس العالم لأول مرة في تاريخه، إلى 7 نقاط في صدارة ترتيب المجموعة، ليواجه منتخب المغرب، وصيف المجموعة الثالثة، في مواجهة نارية بدور الـ32 في مدينة مونتيري المكسيكية.

وفي مدينة كانساس سيتي، جاء الهدف الأول لهولندا عبر "النيران الصديقة"، بعدما سجل إلياس السخيري، لاعب تونس، هدفا عكسيا مبكرا في الدقيقة الثالثة، قبل أن يضيف بريان بروبي الهدف الثاني في الدقيقة السابعة.

وقلص حازم المستوري الفارق، عقب تسجيله هدفا لمنتخب تونس في الدقيقة الـ54، غير أن يان باول فان هيكي أضاف الهدف الثالث لهولندا في الدقيقة الـ62.

وقال كومان في تصريحات إعلامية عقب المباراة "حققنا انتصارا مريحا على المنتخب التونسي حقا.. حصلنا على النقاط الثلاث دون الحصول على أي إنذارات أو التعرض لإصابات أو إيقافات".

وأضاف المدرب الهولندي "قدمنا أداء جيدا، سجلنا ثلاثة أهداف وحسمنا صدارة المجموعة لصالحنا".

وتطرق كومان إلى الحديث عن مواجهة المغرب في الدور المقبل، حيث قال "نعلم أنه فريق قوي يضم عناصر مميزة، ولكننا أيضا منتخب صعب المراس. وجاهزون للمواجهة ونتطلع إليها، وهدفنا مواصلة مسيرتنا في كأس العالم".

أما المباراة الثانية في دور الـ32، التي تم التعرف على طرفيها فجر الجمعة فتجمع منتخب البرازيل متصدر المجموعة الثالثة مع منتخب اليابان ثاني المجموعة السادسة.

وتقام مباراة منتخب السامبا أمام الساموراي الأزرق الاثنين أيضا وتدور على ملعب أن.آر.جي ستاديوم في هيوستن بالولايات المتحدة.

كما تقام ضمن دور الـ32 مباراة أخرى وتجمع المنتخب الأميركي متصدر المجموعة الرابعة مع منتخب البوسنة والهرسك ثالث المجموعة الثانية.

وتقام مباراة الولايات المتحدة والبوسنة يوم 1 يوليو 2026 على ملعب "لوفيس ستاديوم" في سانتا كلارا بولاية كاليفورنيا.

وكانت أول مباراة تم تحديدها في دور الـ32 بين كندا، إحدى البلدان الثلاثة المستضيفة، وجنوب أفريقيا، وتقام يوم الأحد 28 يونيو وهي مباراة افتتاح الأدوار الإقصائية.

الجزائر والنمسا في مواجهة مصيرية لحسم بطاقة التأهل للدور الثاني

كانساس - تتجه الأنظار إلى ملعب كانساس سيتي صباح الأحد، حيث يلتقي منتخبا الجزائر والنمسا في مواجهة حاسمة ضمن الجولة الثالثة الأخيرة من المجموعة العاشرة بكأس العالم 2026.

وتكتسب المباراة أهمية كبيرة للمنتخبين في ظل الصراع المحتدم على المركزين الثاني والثالث بالمجموعة، حيث يمتلك كل فريق فرصة حقيقية لبلوغ الأدوار الإقصائية من البطولة العالمية.

ويدخل المنتخب الجزائري اللقاء بمعنويات مرتفعة بعد تحقيقه فوزا تاريخيا على الأردن بنتيجة 2 – 1 في الجولة الماضية.

وتمكن المنتخب الجزائري من قلب تأخره في النتيجة إلى انتصار ثمين بفضل هدفي أمين جويري ونذير بن بوعلي، ليحقق المنتخب الجزائري أول فوز له في تاريخ مشاركاته بكأس العالم بعد التأخر في النتيجة، وهو إنجاز يعكس الشخصية القوية التي أظهرها الفريق تحت قيادة المدرب فلاديمير بيتكوفيتش.

وتشارك الجزائر في نهائيات كأس العالم للمرة الثالثة خلال القرن الحادي والعشرين بعد نسختي 2010 و2014، وتسعى هذه المرة إلى تكرار إنجاز مونديال البرازيل عندما بلغت الدور الثاني لأول مرة في تاريخها.

وقبل الجولة الأخيرة من دور المجموعات، تحتل الجزائر المركز الثالث في جدول ترتيب المجموعة برصيد ثلاث نقاط، متساوية مع النمسا، لكنها تتأخر بفارق الأهداف.

وتدرك الجزائر أن الفوز وحده قد يكون كافيا لحجز بطاقة التأهل المباشر إلى دور الـ32 كوصيف للمجموعة، إلا أن هذا السيناريو قد يضعها في مواجهة مبكرة وصعبة أمام منتخب إسبانيا بطل أوروبا. ورغم ذلك، فإن التركيز الحالي ينصب بالكامل على تجاوز عقبة النمسا وحصد النقاط الثلاث.

وتلقى المنتخب الجزائري ضربة موجعة بغياب نجمه محمد الأمين عمورة، الذي تعرض لإصابة في العضلة الخلفية خلال مواجهة الأرجنتين في 17 يونيو.

وكان عمورة أحد أبرز عناصر الفريق خلال التصفيات الأفريقية المؤهلة للمونديال، بعدما سجل 10 أهداف من أصل 24 أحرزها المنتخب الجزائري في مشوار التأهل.

وفي ظل غيابه، ستتجه الأنظار بشكل أكبر نحو القائد رياض محرز، الذي لعب دورا مهما في الفوز على الأردن بعدما صنع أحد هدفي اللقاء، ليؤكد أنه ما زال قادرا على صناعة الفارق رغم تقدمه في العمر.

كما يعول المنتخب الجزائري على الظهير المتألق ريان آيت نوري، الذي يعد أحد أبرز عناصر الخط الخلفي، في وقت قد يمنح فيه بيتكوفيتش فرصة لنبيل بن طالب في وسط الملعب على حساب رامز زروقي من أجل زيادة التوازن والخبرة.

> الجزائر تشارك في نهائيات كأس العالم للمرة الثالثة خلال القرن الحادي والعشرين بعد نسختي 2010 و2014

وعلى الجانب الآخر، يدخل المنتخب النمساوي المباراة بعد خسارة صعبة أمام الأرجنتين بقيادة الأسطورة ليونيل ميسي.

وتمكن ميسي من افتتاح التسجيل في المباراة التي أقيمت بمدينة دالاس، قبل أن يفشل المنتخب النمساوي في اختراق الدفاع الأرجنتيني المنظم للغاية.

ورغم السيطرة والاستحواذ في فترات عديدة، عانى فريق المدرب رالف رانجنيك مجددا أمام الفرق التي تعتمد على التكتل الدفاعي.

ورغم الخسارة، فإن النمسا قدمت مستويات جيدة في أول مشاركة لها بكأس العالم منذ 28 عاما.

ونجح المنتخب الأوروبي في تحقيق أول انتصار له في النهائيات منذ عام 1990 عندما تغلب على الأردن في الجولة الأولى 3 – 1.

وتحمل هذه المواجهة ذكريات خاصة بين المنتخبين، حيث سبق أن التقيا في كأس العالم 1982، عندما فازت النمسا بهدفين دون رد عن طريق والتر شاخنر ويوهان كرانكل.

وجاء ذلك اللقاء قبل أيام قليلة من المباراة الشهيرة المعروفة باسم "فضيحة ديجون"، والتي شهدت اتهامات بالتواطؤ بين ألمانيا الغربية والنمسا، وأسفرت في النهاية عن خروج الجزائر من البطولة رغم تقديمها عروضا قوية آنذاك. ولذلك قد تكون هناك أجواء خاصة ومشحونة تاريخيا عندما يلتقي المنتخبان مجددا على الساحة العالمية.

ومن الناحية الفنية، قد يجري رانجنيك بعض التعديلات على تشكيلته الأساسية بعد الأداء الهجومي الباهت أمام الأرجنتين، حيث اكتفت النمسا بتسديدة واحدة فقط على المرمى طوال المباراة.

وقد يحصل أرناوتوفيتش على فرصة المشاركة أساسيا للمرة الأولى في هذه النسخة من المونديال، رغم بلوغه 37 عاما، بعدما شارك بديلا في المباراتين السابقتين.

كما قد يظهر لاعب وسط بوروسيا دورتموند كارني تشوكويميكا ضمن التشكيلة الأساسية، بعدما قرر مؤخرا تمثيل النمسا دوليا بدلا من إنجلترا، وهو ما يمنح الفريق عنصرا إضافيا من الإبداع والحيوية في خط الوسط.

لقاء حاسم

ناغلسمان يعرب عن دعمه للحارس الألماني نوير

فانكوفر (كندا) - حرص يوليان ناغلسمان، المدير الفني لمنتخب ألمانيا لكرة القدم، على دعم حارس المرمى مانويل نوير عقب الخسارة أمام الإكوادور بنتيجة 1 – 2 في ختام منافسات دور المجموعات بكأس العالم.

وقال ناغلسمان مساء الخميس "الأمر محبط للغاية بالنسبة لمانو مرة أخرى لأنه لم يحصل بعد على تلك اللحظة المنتصرة. جميع التسديدات كانت صعبة وخادعة".

وكان نوير تردد في التعامل مع الكرة خلال الهدف الثاني للإكوادور، الذي جاء من ركلة ركنية، قبل أن ينجح المهاجم جونزالو بلاتا في تسجيل هدف الفوز لفريقه.

ولكن الحارس الألماني نفى بشكل قاطع أن يكون ارتكب خطأ تسبب في هدف الفوز الإكوادوري.

ولدى سؤاله عن هذا الموقف، قال "بالتأكيد لا".

وقال "كل حارس مرمى لعب كرة القدم يعلم أنه يجب أن يتمركز بهذه الطريقة تجاه الكرة. الأمر يشبه عندما يتنافس لاعبان على الكرة، أحدهما يصل إليها بفارق جزء بسيط جدا".

كما رفض زميل نوير السابق في بايرن ميونخ ومنتخب ألمانيا، باستيان شفاينشتايجر، تحميل الحارس البالغ من العمر 40 عاما مسؤولية الهدف الثاني.

وقال شفاينشتايجر عبر شبكة البث "أي.أر.دي" حيث يعمل كمحلل أثناء كأس العالم "من الصعب للغاية على حارس المرمى أن يتصرف في مثل هذا الموقف. عندما يكون هناك هذا العدد من اللاعبين أمامه، لا يكون بوسعه فعل الكثير".

وأضاف المدافع الألماني جوناثان تاه "في النهاية كنا جميعا داخل منطقة الجزاء، وكان بإمكاننا أن نتفاعل بشكل أسرع قليلا. لا ينبغي المبالغة في تفسير هذا الهدف".

وكانت عودة نوير المفاجئة إلى صفوف المنتخب الألماني بعد اعتزاله اللعب الدولي في 2024 أثارت جدلا واسعا، خاصة بعدما تراجع أوليفر باومان، حارس هوفنهايم والحارس الأساسي خلال التصفيات، إلى مركز الحارس الاحتياطي قبل انطلاق البطولة بفترة قصيرة.

ومنذ تتويج ألمانيا بلقب كأس العالم في ريو دي جانيرو عام 2014، استقبل نوير هدفا واحدا على الأقل في جميع مبارياته التسع التالية في المونديال.

وسوف يحصل الحارس المخضرم على فرصة جديدة للحفاظ على نظافة شباكه عندما تخوض ألمانيا مباراة دور الـ32 الاثنين، علما بأن هوية المنافس لم تتحدد بعد.

> الحارس الألماني مانويل نوير تردد في التعامل مع الكرة خلال الهدف الثاني للإكوادور، الذي جاء من ركلة ركنية

وقال ناغلسمان "نحتاج إلى قدر أكبر من الهدوء، وألا نشعر بأن علينا تسجيل هدف في كل جملة".

ويحتاج المنتخب الألماني لكرة القدم إلى استعادة توازنه سريعا بعد تعثر مقلق، وذلك قبل انطلاق منافسات الأدوار الإقصائية في كأس العالم. ويخوض الفريق مباراته في دور الـ32 الاثنين المقبل، ويعد منتخب باراغواي المنافس الأقرب لمواجهته، وهو منتخب من أميركا الجنوبية مثل الإكوادور، التي تغلبت على ألمان بنتيجة 2 – 1، في مباراة كانت مصيرية بالنسبة لها.

ورغم أن ألمانيا كانت تستطيع تحمل الخسارة بعدما ضمنت بالفعل صدارة المجموعة عقب الفوز على كوراساو وكوت ديفوار، فإن الهزيمة أثارت تساؤلات حول مدى قدرة أبطال العالم أربع مرات على المنافسة بقوة.

واعترف المدير الفني يوليان ناغلسمان بأن فريقه بحاجة إلى تحسين العديد من الجوانب إذا أراد بلوغ دور الـ16، حيث قد ينتظره المنتخب الفرنسي، أحد أبرز المرشحين للقب.

وقال "الهزائم ليست جيدة أبدا، حتى في مباراة لا تؤثر على ترتيب المجموعة. من المهم أن نتعلم منها، ثم نطوي صفحتها في الوقت المناسب ونركز على ما هو قادم".

العرب
السبت 2026/06/27
السنة 49 العدد 13846

بوشناق يعيد زمن الطرب إلى الرباط

على خشبة مسرح محمد الخامس بالرباط، لم يكن حضور لطفي بوشناق مجرد حفل غنائي، بل رحلة في ذاكرة الطرب العربي، حيث التقت قوة الصوت ودفء الإحساس، ليرسم الفنان التونسي ليلة استثنائية أكد خلالها أن الفن الأصيل قادر على عبور الزمن والوصول إلى القلوب.

صوت يهزم الزمن

الرباط - في أمسية حملت الكثير من الحنين والأصالة، أعاد الفنان التونسي لطفي بوشناق الاعتبار للطرب العربي الأصيل، خلال حفله الذي احتضنه، مساء الخميس، مسرح محمد الخامس بالرباط، ضمن فعاليات الدورة الحادية والعشرين من مهرجان "موازين.. إيقاعات العالم".

وبين المقامات الشرقية والكلمات التي لامست الوجدان، عاش الجمهور المغربي ليلة استثنائية، اختلطت فيها الموسيقى بالمشاعر، وتحول المسرح إلى فضاء يحتفي بتاريخ فنان ظل وفيا لمدرسته الفنية على امتداد أكثر من أربعة عقود.

وامتلأت قاعة المسرح عن آخرها بعشاق بوشناق، الذين قدموا من مختلف المدن المغربية لملاقاة أحد أبرز الأصوات العربية، في مشهد عكس الشعبية الكبيرة التي يحظى بها الفنان التونسي لدى الجمهور المغربي، الذي رافقه بالغناء والتصفيق منذ اللحظات الأولى للحفل.

وما إن اعتلى بوشناق خشبة المسرح، ممسكا بعوده التقليدي، حتى خيم الصمت على القاعة، قبل أن تنطلق أولى النغمات التي أعلنت بداية رحلة موسيقية أعادت الحاضرين إلى زمن الطرب الأصيل. وبأسلوبه الهادئ وحضوره الواثق، نجح في خلق حالة من الانسجام بينه وبين الجمهور، الذي بدا مستعدا للاستمتاع بسهرة استثنائية.

واختار الفنان التونسي أن يستهل الحفل بأداء "وصلة رصد الذيل"، مستعرضا قدراته الصوتية وإتقانه للمقامات العربية، في أداء أكد مكانته كأحد أبرز المطربين العرب القادرين على الجمع بين التقنية العالية والإحساس المرهف.

ولم تمض سوى دقائق حتى ارتفعت أصوات الجمهور مرددة كلمات أغنية "حبيتك وتمنيتك"، أحد أشهر أعماله، قبل أن يواصل السهرة بأغنية "أنا حبيت" التي قوبلت بتفاعل كبير، حيث ردد الحاضرون كلماتها في مشهد جسد العلاقة الخاصة التي تجمع الفنان بجمهوره المغربي.

ومع توالي الأغاني ازدادت حرارة الأمسية، خاصة عندما أدى بوشناق أغنية "العين اللي ماتشوفكشي"، بصوته الدافئ وأدائه المليء بالشجن، قبل أن ينتقل إلى "هادي غناية ليهم"، التي حملت رسائل إنسانية ووطنية لطالما ميزت مسيرته الفنية.

ولم يكن نجاح الحفل مرتبطا فقط باختيار الأغاني، بل أيضا بطريقة تقديمها، إذ بدا واضحا حرص الفنان على منح كل عمل مساحته الخاصة، من خلال أداء يجمع بين التمكن الصوتي والقدرة على التلوين في المقامات الشرقية، ما جعل الجمهور يعيش تجربة طربية متكاملة بعيدا عن الإيقاعات السريعة التي تهيمن على الساحة الغنائية اليوم.

ومن أبرز لحظات الأمسية التفاف الفنان بالعلم المغربي وسط تصفيق حار من الحضور، في لفتة رمزية حملت رسائل محبة وتقدير للجمهور المغربي، الذي رد بدوره بالوقوف تحية للفنان، في مشهد جسد عمق العلاقات الثقافية والفنية التي تجمع المغرب وتونس.

واختتم بوشناق حفله بأغنيتي "أنت شمسي" و"كيف شبحت خيالك"، ليحافظ على التفاعل الكبير حتى آخر لحظة، حيث غادر المسرح على وقع تصفيقات طويلة وهتافات طالبت بالمزيد.

وعقب الحفل أكد الفنان التونسي في تصريح صحفي أن الحفاظ على محبة الجمهور يتطلب عملا متواصلا واحتراما للفن، مشيرا إلى أن الاستمرارية لا تتحقق إلا بالاجتهاد والبحث الدائم عن الجودة.

وقال بوشناق إن الفنان الحقيقي يجب أن يظل وفيا لهويته الموسيقية، وأن يعتز بجذوره وبالتراث العربي الذي يمثل مصدر إلهام للأجيال الجديدة، معتبرا أن الأصالة لا تتعارض مع التجديد، بل تشكل أساسا لأي تجربة فنية ناجحة.

ويعد لطفي بوشناق من أبرز الأصوات العربية التي نجحت في الجمع بين الطرب الكلاسيكي والأغنية الملتزمة، حيث عرفت أعماله بتناولها قضايا إنسانية ووطنية واجتماعية، إلى جانب تميزه بإتقان المقامات العربية وقدرته على أداء ألوان موسيقية متعددة.

ومنذ انطلاق مسيرته الفنية قبل أكثر من أربعين عاما، اعتلى بوشناق أهم المسارح العربية والعالمية، من مهرجان قرطاج إلى أبرز العواصم الأوروبية والآسيوية، مقدما صورة مشرقة عن الأغنية التونسية والعربية.

كما نال خلال مسيرته عددا من التكريمات الدولية، أبرزها تعيينه عام 2004 فنانا من أجل السلام من قبل منظمة اليونسكو، تقديرا لدوره في نشر قيم التسامح والسلام من خلال الفن.

ويأتي حفل بوشناق ضمن برمجة الدورة الحادية والعشرين من مهرجان "موازين.. إيقاعات العالم"، الذي يواصل ترسيخ مكانته كواحد من أكبر المهرجانات الموسيقية في المنطقة، من خلال استضافة أسماء بارزة من مختلف أنحاء العالم، وفتح فضاء للحوار بين الثقافات عبر الموسيقى.

وبين الطرب الأصيل والمقامات الشرقية ورسائل المحبة التي تبادلها الفنان مع جمهوره، أثبت لطفي بوشناق أن الأغنية العربية الكلاسيكية لا تزال قادرة على ملء المسارح وخطف القلوب، وأن الصوت الصادق يظل قادرا على عبور الزمن، مهما تغيرت الأذواق والإيقاعات.

فيسبا تجمع التاريخ والفن في روما

روما - تحتفي علامة فيسبا الإيطالية الشهيرة بمرور 80 عامًا على تأسيسها من خلال معرض استثنائي يقام في العاصمة الإيطالية روما، تحت عنوان "80 عامًا من أيقونة"، وذلك ضمن فعاليات "فيسبا روما 2026 – 80 عامًا من أيقونة" التي تنظم خلال الفترة الممتدة من 25 إلى 28 يونيو في فضاء فورو إيتاليكو.

ويشكل المعرض فرصة فريدة للزوار لاكتشاف تاريخ واحدة من أكثر الدراجات النارية شهرة في العالم، ليس فقط باعتبارها منتجًا صناعيًا، بل كرمز ثقافي ارتبط لعقود طويلة بأسلوب الحياة الإيطالي والحرية والشباب وروح المغامرة.

ويقدم المعرض، الذي أشرف على تنظيمه المصور جياكومو بريتزل، رحلة بصرية عبر ثمانية عقود من مسيرة فيسبا، مستعرضًا مراحل تطورها منذ ظهورها في أربعينات القرن الماضي إلى أن أصبحت علامة عالمية تجاوز إنتاجها 19 مليون وحدة وانتشرت في مختلف القارات.

ولا يركز الحدث على الجانب التقني والصناعي فقط، بل يسلط الضوء على العلاقة العميقة بين فيسبا والتحولات الاجتماعية التي عاشتها إيطاليا والعالم. فقد رافقت الدراجة الشهيرة أجيالًا مختلفة، وكانت حاضرة في لحظات التغيير الثقافي والفني، كما أصبحت جزءًا من صورة المدن الأوروبية وحياة شوارعها.

ويضم المعرض مجموعة واسعة من الصور التاريخية والوثائق النادرة واللقطات الفوتوغرافية التي توثق حضور فيسبا في الحياة اليومية، إضافة إلى مقتنيات مستمدة من أرشيف شركة بياجيو، الشركة التي تقف وراء هذه العلامة العريقة، إلى جانب مجموعات خاصة لعشاق الدراجة حول العالم.

وأكد جياكومو بريتزل أن الهدف من المعرض هو إبراز كيف تجاوزت فيسبا حدود كونها وسيلة نقل لتتحول إلى قصة إنسانية مرتبطة بالتصميم الإيطالي والابتكار والهوية. وأوضح أن الزوار سيخوضون رحلة عبر صور قديمة وحديثة، بعضها التقط في المناطق المحيطة بمدينة بونتيديرا، التي تعد موطن ولادة فيسبا.

أحبك من زمان.. مفاجأة تهز نور الغندور

القاهرة - تستعد الفنانة نور الغندور للعودة إلى الأعمال الرومانسية من خلال فيلم "أحبك من زمان"، الذي يجمعها بالفنان علي كاكولي، والمقرر عرضه في 23 يوليو المقبل عبر إحدى المنصات الرقمية. وقد أثار الإعلان الترويجي للفيلم اهتمام الجمهور، بعدما كشف عن قصة حب مليئة بالمفاجآت والتقلبات العاطفية التي تضع شخصية نور الغندور أمام اختبار صعب.

وتدور أحداث الفيلم حول علاقة صداقة طويلة تجمع بين شخصيتي نور الغندور وعلي كاكولي، قبل أن تنقلب الموازين مع ظهور مشاعر ظلت مخفية لسنوات، لتبدأ سلسلة من القرارات التي تغير مسار حياتهما وتضع علاقتهما أمام منعطف غير متوقع.

ويقدم العمل مزيجا من الرومانسية والدراما الإنسانية، مسلطا الضوء على الحدود الدقيقة بين الصداقة والحب، وما قد تفرضه المشاعر المؤجلة من مفاجآت.

يكشف الإعلان الترويجي عن مشهد محوري يبدأ خلال احتفال بعيد ميلاد شخصية نور الغندور، حيث تنتظر لحظة تعتقد أنها ستغير حياتها بعدما ظنت أن صديقها المقرب سيعترف أخيرا بحبه لها. لكن الأحداث تأخذ منحى مختلفا، عندما يفاجئها علي كاكولي بتقديم المرأة التي ينوي الارتباط بها، لتجد نفسها في مواجهة صدمة عاطفية تقلب كل توقعاتها وتفتح الباب أمام تطورات درامية مؤثرة.

ويأتي فيلم "أحبك من زمان" ضمن أحدث الأعمال التي تجمع نور الغندور وعلي كاكولي، وسط ترقب من الجمهور لمتابعة الكيمياء الفنية التي تجمع بينهما، خاصة بعد النجاحات التي حققاها في أعمال سابقة.

باريس تكرم الأنيمي الياباني

باريس - في خطوة تعكس المكانة العالمية المتزايدة للثقافة اليابانية، انضمت شخصيات سلسلة المانغا والأنيمي الشهيرة "ون بيس" إلى عالم تماثيل الشمع في العاصمة الفرنسية باريس، حيث أصبح بإمكان عشاق العمل الشهير لقاء أبطاله المفضلين في نسخة ثلاثية الأبعاد داخل أحد أشهر المتاحف الأوروبية.

واستقبل متحف غريفين عشرة تماثيل شمعية لأعضاء "طاقم قبعة القش" بقيادة الشخصية الرئيسية لوفي، لتكون هذه المرة الأولى التي تستضيف فيها المؤسسة شخصيات من عالم الأنيمي الياباني. وتم الكشف عن التماثيل خلال فعالية خاصة أقيمت الخميس بحضور عدد من الضيوف، قبل فتح المعرض أمام الجمهور اعتبارًا من الجمعة.

ويأتي هذا الحدث تقديرًا للانتشار العالمي الكبير الذي حققته سلسلة "ون بيس" منذ انطلاقها، بعدما تحولت من عمل مانغا ياباني إلى ظاهرة ثقافية عالمية يتابعها الملايين من الأشخاص في مختلف القارات.

وشهد حفل الافتتاح عرض رسالة مصورة من الفنانة اليابانية مايومي تاناكا، مؤدية صوت شخصية لوفي في النسخة الأصلية من الأنيمي، حيث وجهت تحية إلى محبي السلسلة وإلى القائمين على المعرض.

كما حضر المغني الياباني هيروشي كيتادانى، المعروف بأدائه لأغاني شارات البداية الخاصة بالأنيمي، ليشارك في الاحتفال بهذا التكريم الجديد للعمل.

ويحمل اختيار متحف غريفين لشخصيات "ون بيس" دلالة خاصة، إذ يجمع بين عالم الفن التقليدي المتمثل في صناعة تماثيل الشمع، وثقافة الأنيمي الحديثة التي أصبحت جزءًا من المشهد الفني العالمي.

صباح العرب

لطيف جابالله
صحافي تونسي

اللاعب العربي رقم 12 لا يتوب

في كأس العالم الحالية، ظهر نجم جديد لا يرتدي قميص منتخب بلاده، ولا يركض خلف الكرة، لكنه يملك حضورا ينافس به في المقاهي أكثر من هم داخل الملعب. إنه اللاعب رقم 12 العربي، ذلك اللاعب الذي قرر خوض البطولة من خارج المستطيل الأخضر، حيث المقاعد أكثر راحة، والقرارات أسهل، والخطط تُرسم خبط عشواء.

هذا اللاعب لا يحتاج إلى معسكر تدريبي، فقد أمضى سنوات طويلة في تطوير موهبته الكبرى: إدارة المنتخبات من خلف الشاشة.

قبل المباراة يتحول إلى خبير تكتيكي عالمي، يعرف التشكيلة المثالية، ويحدد نقاط ضعف المنافس، ويؤكد بثقة لا تهتز، "لو كنت مكان المدرب لفزنا بثلاثة أهداف على الأقل".

لكن العجيب أن هذه الثقة لا تعيش طويلا، فبعد مرور عشر دقائق فقط، وبعد أول تمريرة خاطئة أو فرصة ضائعة، يبدأ اللاعب رقم 12 في مراجعة حساباته، "واضح أن المدرب لا يفهم شيئا"، "الخطة من البداية كانت خاطئة"، "كان يجب أن يبدأ اللاعب الذي أجلسه المدرب على مقاعد البدلاء".

اللاعب رقم 12 العربي لديه نظام خاص في البطولة، يبدأ المباراة بحماس كبير، يتحدث عن الروح القتالية، ويرفع سقف الأحلام إلى النهائي، لكنه بعد أول تعثر يدخل في اجتماع طارئ مع أصدقائه لتحليل "أكبر أزمة كروية في التاريخ".

وفي المقاهي، تظهر المواهب الحقيقية، هناك مدرب للهجوم، ومدرب للدفاع، ومدرب للكرات الثابتة، وآخر متخصص في اكتشاف الأخطاء بعد وقوعها. كل واحد يملك الحل المثالي، والمشكلة الوحيدة أن الاتحاد الدولي لم يرسل لهم حتى الآن عقود التدريب.

واللاعب رقم 12 العربي ليس فقط مدربا، بل هو أيضا خبير تنبؤات. قبل المباراة يعلن "الفوز مضمون"، وبعد الخسارة يفتح ملف التحقيق: الحكم، الحظ، أرضية الملعب، توقيت المباراة، الإصابات، وحتى لون القميص قد يدخل قائمة المتهمين.

أما أعظم إنجازات هذا اللاعب، فهو قدرته على تحويل الهزيمة إلى بطولة تحليلية، فإذا خسر فريقه، لا تنتهي المباراة عند صافرة الحكم، بل تبدأ مباراة أخرى على مواقع التواصل. هناك من يسجل أهدافا بالكلمات أكثر مما يسجلها المهاجمون في الملعب، وهناك من يفوز في عدد التعليقات قبل أن يفوز فريقه بأي شيء.

ومع خروج المنتخبات العربية تباعا من منافسات المونديال، عاش اللاعب رقم 12 واحدة من أصعب لحظاته، فقد وجد نفسه فجأة بلا مباراة يشجعها، وبلا تشكيلة ينتقدها، وبلا مدرب جديد يقترح إقالته، لكنه لا يتوب.

وكان من بين الذين تلقوا صدمات المونديال اللاعب التونسي رقم 12، هذا المشجع الذي دخل البطولة بكامل ثقته، يحمل في جيبه قائمة من الخطط البديلة، ويعرف تماما كيف تعود تونس إلى الانتصارات، لكنه وجد نفسه يتلقى أخبار الهزائم تباعا، حتى أصبح الريموت في يده أقرب إلى شاهد على الخيبة منه إلى أداة للتشجيع.

في البداية قال "المباراة القادمة ستكون مختلفة"، ثم قال "لدينا فرصة حسابية"، ثم وصل إلى المرحلة الأخيرة من البطولة "المهم أننا تلقينا هزائمنا بروح تونسية". وهكذا اكتشف اللاعب التونسي رقم 12 أن أصعب منافس في المونديال هو المنتخب الذي يشجعه.

اختفت بعض التوقعات من المجموعات، ودخل بعض اللاعبين رقم 12 في مرحلة "الصمت التكتيكي"، لا تعليقات، لا تحليلات، فقط متابعة هادئة وانتظار فرصة جديدة لإعلان العودة.

اللاعب رقم 12 لا يعرف الاعتزال، بمجرد أن تبدأ مباراة قوية بين منتخبين آخرين، يعود إلى الملاعب الافتراضية وكأنه لم يغادر. يتحول فجأة إلى مشجع لكرة القدم الجميلة، ويعلن أنه كان يتابع البطولة من أجل المتعة فقط.. رغم أنه قبل أيام كان يخطط لاحتفالات التتويج.

وفي كل هذه الفوضى الجميلة، يبقى هناك استثناء لافت، الجمهور المغربي الذي اختار طريقا مختلفا، لم يكتفِ بالأحلام والتوقعات، بل واصل الوقوف خلف منتخبه، مؤمنا بقدراته، ومساندا للاعبين في اللحظات الصعبة قبل السهلة.